من تراث الجيلى

لسان القدر بنَسِيم السَّحر

تصنيف

الإمام العلامة

الشيخ/ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلى

٧٦٧ هـ - ٨٣٢ هـ

تحقيق ودراسة

أحمد فريد المزيدى

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الناشر :

مكتبة القاهرة - الصنادقية

لصاحبها على يوسف سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٢، ٤٣].

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

صدق الله العظيم

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان

الرئيسي: ١٢ ش الصنادقية - الأزهر

الفرع: ١٠ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت ٥٩٠٥٩٠٩ - ت فاكس ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العتبة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد فبين يدى القارئ كتاب (**لسان القدر بنسيم السحر**) للإمام الصوفى الكبير عبدالكريم الجيلى. وهو من عظيم اتحافاته النورانية حيث يتعرف فيه لبعض الخصائص والمزايا المحمدية التى تشتمل على الإشارة إلى الكمالات الإلهيه فى الذات والصفات المحمدية، فيعرض الحكمة والذوق الجمالى. لذات وصفة سيد البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قمت بتحقيقه وضبطه على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية، والتعليق عليه ما استطعت إليه سبيلاً، وعزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث النبوية والله أسأل التوفيق والنفع لما فيه الخير للعباد

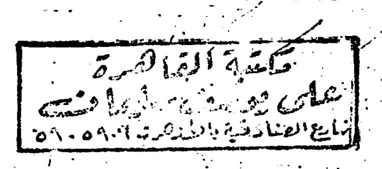
كتبه: أحمد فريد المزيدى

جامعة الأزهر

كتاب

نسيم السحر للامام الكامل الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم
ابن عبد الكريم الجيلاني الصوفي قدس الله روحه ونور ضريحه
ونفعنا ببركاته
آمين

تصوف واخلاق





بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مبدع المعاني والصور ومبين آثار كمال الحامل الأثر ومظهر عجائب الوجود من خزائن جوده بقضاء وقدر احمده بمقتضى جماله وجلاله كما أمر واشكره على جميع افعاله وانما المزيد لمن شكر واصلي على نبيه المخصوص بتجلي ذاته في ظهوره بين من ظهر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف فخر آل مضر صاحب الوسيلة العظمى والمكانة الزلفى واسطة من يأتي ومن غبر صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعترته الذين هم خير البشر وشرف وعظم ومجد وكرم ثم صلى وسلم اما بعد فان هذه رسالة سماها لسان القدر بكتاب نسيم السحر عرج بالروض ثم عبر فهب عليه من المسك اثر وحكى شذاه بعض صفات خير البشر وهذا الكتاب هو الجزء الثاني عشر من كتاب الناموس الاعظم والقاموس الاقدم في معرفة قدر النبي صلى الله عليه وسلم قد جمعته على اثني عشر فصلا كلها مواعظة منظومة بمعاني الحقائق موسومة شاملة لكل طور في الحقيقة جامعة لكل سر من اسرار الطريقة منبهة على على كل معنى ودقيقة منزهة ببعض ما ورد من اوصاف خير الخليقة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذات كل فريقة الانف جعلت كل فصل من هذه الفصول الاثني عشر مبينا على خلق من اخلاقه الشريفة العظيمة المنيفة اعاد الله علينا من بركاتها وافاض علي

الاعلى ولايستريحون فى المستريح الزلفى بل تابعين لاثار
النبى صلى الله عليه وسلم المصطفى فى ذاته وصفاته وجميع
اسمائه الحسنى لانه دليلهم هنالك والمثنى عليهم بذلك فى
قوله لما قضى من العالم الدنياوى نحبا ووالى ثلاث مرات
فى الرفيق الاعلى اشارة الى تحقيق اسر الذات صرفا محضا
بالاولى والى حقيقة التمكين بالاخرى فى كل وصف اجلى والى
طلب ما لا نهاية له بالثالثة لئلا ينسلى انما كان هذا آخر
كلام الرسول فى النفس الآخر عند القدوم من الدنيا الى اليوم
الآخر الا لتحقق امرك فى الحقيقة مع الله على هذه الطريقة
لكيلا ترجع عن الرفيق الاعلى الرحمانى الى الرفيق الانزل
النفسانى والروحانى •

لا تصرفوا نظرى عن المحبوب • ما ان سواه فى الهوى مطلوبى
انا من يعز عليه ان يرى غيره • فى موضع ياوى له محبوبى
قلبى محل الخل بل كلى له • ماوى وما قلبى اخو تقليب
لى فى الغرام تمكن وتملك • من حسن ذاك الابلج المحبوب
اصبو اليه وهو عندى اذا • محجب وما شانى اذن بعجيب

ولنكن هذه المقالة آخر هذه الرسالة والله الموفق للصواب
• واليه المرجع والمآب والحمد لله رب •
• العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى •
• العظيم وصلى الله على سيدنا محمد واله •
• وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

محمود حمدى

ترجمة المصنف

هو الإمام العلامة العامل القطب الربانى الصوفى عبدالكريم الجيلى، ابن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلانى، و(الجيلى) نسبة لأهل جيلان الذين أقاموا ببغداد، و(الجيلانى) نسبة لأهل جيلان الذين أقاموا ببغداد، و(الجيلانى) نسبة لأهل البلدة نفسها، ويقال لها كيلان، وهو جبل عرفت به.

ولد الشيخ سنة ٧٦٧ هـ من المحرم، ببغداد، ورحل إلى فارس والهند، والجزيرة العربية، ومصر، وفلسطين، واستقر ببلاد اليمن حتى وفاته بمدينة زبيد سنة ٨٢٦ هـ. وقد ترك الإمام الجيلى تراثاً من المكتبة الصوفية كتباً وقصائد منها: الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل، وهو أشهرها، طبع كثيراً.

والكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم، طبع مكتبة القاهرة.

ومراتب الوجود، طبع بمكتبة القاهرة، وهو مختصره وشرح مشكلات الفتوحات حديثاً

والكمالات الإلهية في الصفات المحمدية وقاب قوسين وملتقى الناموسين.

ولسان القدر بنسيم السَّحر – وهو كتابنا هذا.

ورتبة التمكين فى حقيقة اليقين وقطب العجاذب وفلك الغرائب والمملكة الربانية المودعة فى النشأة الإنسانية وغيرها كثير، حيث إن بعض هذه الكتب أجزاء من كتابه الكبير «**القاموس الأعظم والناموس الأقدم فى معرفة قدر النبى ﷺ**» وهو يقع فى أربعة وأربعين جزءاً، ما بين مفقود ومخطوط، وقليل مطبوع، وتوفى الشيخ عبدالكريم الجيلى سنة ٨٣٢ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع المعانى والصور[١]. ومبين آثار كمال الكامل ومظهر عجائب الوجود من خزائن جوده بقضاء وقدر.

أحمده بمقتضى جماله وجلاله كما أمر، وأشكره على جميع أفعاله، وإنما المزيد لمن شكر، وأصلى على نبيه المخصوص بتجلى ذاته فى ظهوره بين من ظهر «محمد» بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف فخر آل مضر، صاحب الوسيلة العظمى والمكانة الزلفى واسطة من يأتى ومن غبر ﷺ وعلى آله وأصحابه وعترته الذين هم خير البشر وشرف وعظم ومجد وكرم ثم صلى وسلم.

(أما بعد) فإن هذه رسالة سماها (**لسان القدر بكتاب نسيم السّحر**) عرج بالروض ثم غبر فهب عليه من المسك أثر، وحكى شذاه بعض صفات خير البشر.

وهذا الكتاب هو الجزء الثانى عشر من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فى معرفة قدر النبى ﷺ، قد جمعته على اثنى عشر فصلا كلها مواعظ منظومة بمعانى الحقائق موسومة، شاملة لكل طور فى الحقيقة جامعة لكل سر من أسرار الطريقة، منبهة على كل معنى ودقيقة، منوهة ببعض ما ورد من أوصاف خير الخليقة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذات كل رقيقة إلا أن جعلت كل فصل من هذه الفصول الاثنى عشر مبيناً على خلق من أخلاقه الشريفة العظيمة المنيفة، أعاد الله علينا من بركاتها وأفاض على قلوبنا من نفحاتها.

---

(١) قلت : مبدع : أى خالف على غير مثال سابق، ابدع يبدع، اى ان الله عزّوجل هو الخالق على غير مثال سابق.

للمعانى والصور : اى للأعراض والجواهر، فإن الإنسان مركبٌ من عرض وجوهر أو من معنى وصورة فجوهر الرنسان وهو النفس أوالروح على خلافٍ شهير، هل النفس هى الروح أم لا، وأيّاً كان الراجح، فإن المقصود به هو الجوهر وهو الأصل المحرك للإنسان، لا المعانى التى تبنى عليها الأعراض، فالأعراض لا قيام لها، إلا بالجواهر يعنى : أن الصور هىّ الكاشفة والدالة على المعانى أو ما تستطيع أن نعبر عنه بيسر وسهولة أن إعمال الظاهر بدل على إعمال واعتقاد الباطن.

وهذه فهرست الفصول :

* * *

الفصل الأول

فى سر تخليه ﷺ واعتزاله عن الناس لانفراده بربه ورياضته الأيام ذوات العدد مرة بعد أخرى فى غار حراء عند بداية أمره لا الانتهاء(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذى انفرد بالذات في كثرة ظهوره بحقائق الأسماء والصفات، للتجلى بالأحدية لذاته فى ذاته بذاته(٢) من وراء سائر النسب والاعتبارات، وفوق جميع النعوت والإضافات، وخلق حقائق معانى الكمالات، الواحد بالظهور فى التعينات، الكثير بالنعوت فى الشئون والمجالى المتنوعات، الكبير بالعظمة والتعالى، اللطيف بالقرب والتدانى، العظيم بالعزة والكبرياء، القديم بالوجود والبقاء، قيوم الوجود المفيض بمقتضى قوابلها من خزائن الكرم والجود، معطى كل حقيقة حقها عن النقص والكمال، ومنشىء كل ذرة على حسب مقتضى ذاتها للبقاء والزوال.

أحمده بنعوت الكمال وأثنى عليه بأوصاف الجلال، وأشكره بصفات الجمال، حمداً ما فنى فى الآبادِ والآراب، وثناء ما برح لسانه ولا زال، وشكراً من ما انفك لتواله السرمديِ والإفضال.

وأصلى على نبيه المخصوص بالخلق العظيم المتخلق بالدين القويم، الذى أسرى به ليلاً لنقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى العرش الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صلاة وتسليم.

---

(١) والدلالة فى ذلك من حديث عائشة الذى رواه البخارى فى بدء الوحىّ (١ / ٢٢) ح (٣).
وعلّق فى ذلك العلامة ابن أبى جمرة بقول: الحكمة فى تخصيصه ﷺ التخلى بغار حراء: أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمدة يخلو فيه ثلاثة عبادات: الخلْوة، والتعبد والنظر إلى البيت.
وقال غيرُك من فؤائد خلوه نفسه ﷺ ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملك له ومخاطبته لما أراده الله تعالى من صُدوفه عن متعبِّيات قريش وعُزوب نفسه الشريفة عن قُرْب أرجاس الأصنام، وتبرِّيه منها وبُغضْه لها وإقباله على التحنث وهو فعل البرّ والقُرب، (سبل الهدى ٢ / ٣١٩).

(٢) أحدية الذات: إنما هى اعتبار الذات من حيث لا انسبه لها إلى شىء أصلا، ولا لشىء إليها نسبة بوجه، ولا تُدرك ولا تُحاط بها بوجه، والذات باعتبار هذه الأحدية تقضى الغنى عن العالمين (معجم القاشانى ١ / ١٧٠).

إخوانى : أفيقوا من هذه الغفلة قبل انقضاء زمان المهلة، وجردوا لمقاصدكم السنية سيوف العزم من أغماد الهمم العلية، وتخلوا للشغل بالمحبوب فعسى ولعل أن يحصل المطلوب.

يا من أراد الفوز بالأحباب هلا اشتغلت بهم عن الأسباب
تهوى الحبيب وتبتغى بدلاً به هذا لعمرى أعجب الأعجاب
يا من يريد الخِل يصحب غيره إن كان حقاً من أُولى الألباب
لم يتسع قلب الفتي فى شغله إلا لشىء واحد وجناب
فاترك سواهم إن أردت وصالهم واهجر هواك وسائر الطلاب
وتخل معهم ساعة فى خلوة قد نزهت عن مانع وحجاب

وما تخلى فى غار حراء ﷺ عن سائر الورى إلا لعله أن الحبيب غيور، ولا يسكن قلبًا فيه للغير عبور، الوحشة عن الخلق دأب المستأنسين بالحق، والانفراد فى البرارى والكهوف، علامة كل واله بالحبيب مشغوف، والخلوة عن الخلق تنتج الجلوة من الحق، إذا لم تجد الأنس أنسًا، وقفت مع المحبوب بلا حس، كلما قلت مسموعات الآذان ومرئيات الأبصار، قلت وساوس الصدور وهواجس الأفكار، وزالت عن القلوب أصدية الأكدار، فانهمكت بمحبوها الأرواح، والأسرار، واسترسلت فى الاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار.

طابت بمن أهواه لى خلوتى وتواترت منه به الجلوات
لا عيش إلا عيشتى بأحبتى صارت بهم كالجنة الفلوات
مالى وللدنيا وساكنها لى عنها بوصل أحبتى سلوات

قد تنقل على النفوس فراق بعض المألوف والمأنوس ويخف على الأرواح فى حب من تهواه فراق الأشباح، وإن كنت نفسانيا أخلت إلى الأرض، وركدت فى طولها والعرض، فإن كنت روحانيًا فى الهوى طرت إلى المحبوب إلى النوى، وفارقت طبعك والهوى، ما ارتاض خير الأنام فى غار حراء من البلد الحرام بترك الطعام والمنام والأنام والكلام، إلا

لعلمه بأن مقتضيات الجثمان شرك الشرك والكفران، كلما قوى حكم الجسم على القب ضعف حكم الأرواح، وإذا قوى سلطان الروح ضعف قوة حكم الأشباح فاضعف النفس بالجوع. وقوى الروح بترك الهجوع. واتقى الوساوس بقلة الكلام، واخل الوقت مع المحبوب بترك الأنام(١).

قـــد خـــلا الـوقـت بمـن أهـوى وطـاب
ونـأى عـن وقــتـنـا الـواشـي وغـــاب

سـمـح الـدهـر بطـيـب المـلتــقى ... يا لهـا حـضـرة وصـل تـسـتطاب
نـام عـنـا عـين مـن يـرقــبـنـا ... وتجلى الخل من غـيـر حـجـاب
لا رمـــتـنـا فـي الـنوى حــادثـة ... إنما البـعـد عن الحب عـذاب

لـست أخـشـى ريـب دهـر فـي الهـوى
أنـا فـي ظـل حـبـيـبـى لا أصـاب
لـيـس يـدرى زمـنـى أيـن أنـا
قـد تـخـلـيـت بـخـلـى فـي مـآب
عـجـبـاً لـي مـا أرى مـن أحـد
غـيـرى فـي الـنـاس فـذا شـيء عـجـاب

ترك الطعام والشراب. صقل القلوب والألباب. النوم أخو الموت. اتركه تحيى. وترى ذاك المحيا. الناس يشغلونك عن المحبوب. فاجعل دأبك تركهم تنل المطلوب. كثرة الكلام تعقب الوساوس. وتركه يجلو القلب من الصدأ والدسائس، فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى، لو كانت الممالك تنال بدون ارتكاب المهالك، ما شج رأس سيد المرسلين ولا كسرت رباعيته، هذا وهو نبي وآدم بين الماء والطين، ولو كانت المعارف تقتضى عدم

(١) قال العلامة القشيرى فى رسالته (ص ١٠١): إن الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولابدَّ للمريد فى ابتداء حالة من العزلة عن أبناء جنسه، ثم فى نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه اهـ.

الاجتهاد والجد فى حصول المراد، لما شد لشدة الجوع بطنه بالحجارة سيد العباد، أركب المهالك فى الحال إن أردت اللحوق بالرجال وثق بالله لا تخشى فى ركوب المهالك من ضير فقد كان بعض الشيوخ ينادى فى أصحابه يا هذا ما هالك فارتكبه ما ثم إلا خير، وما أحسن قول من قال: من لم يرتكب المهالك لم يبلغ مبالغ الرجال.

دعنى أسير على الجفون مهرولاً
نحو الحبيب ولو على الأرماح
لا خير فيمن ينثنى عن خله
خوف البلاء وخشية الإفضاح
لو كان بينى والحبيب جهنم
لولجتها بالروح والأشباح
أو كان من أهواه فى أفق السما
لاطير لو قص الغرام جناحى
لا صبر لى عمن هويت ولم أزل
أدنو عليه عشيتى وصباحى

* * *

الفصل الثانى

فى سر رعيته للأنعام والشاء والأغنام زمان الصبا ودرك الأحلام عليه أفضل الصلاة والسلام(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسقط ظلّ جماله على بساط كماله، فكسا الوجود محاسنًا من نعته وجلاله، خلق على صورته الخليفة آدم واستخلفه على الخليفة فى العالم فدبر به ذلك الوجود، وأجرى علي يديه كل فيض وجود علمه بالفطرة الأصلية أسماء الحقائق الوجودية ليحيط علمًا وبمملكته إذ لا ينبغى للملك أن يكون جاعلاً برعيته، وأسجد له كرام خلقه المقربين عنده بما تقتضيه شرف مرتبته وتعليمًا لهم بكمال قدره وعلو منزلته ليحظوا بالسجود له فيسعدوا بخدمته فكان أول ما من عليهم من التاديب والتعليم والتهذيب والنهى لكمال تقتضيه حضرة الحبيب أن رقاهم بالتدريج والتعليم من حضيض عجب نحن نسبح إلى أوح اعتراف لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اخضع لمن تهواه ثم تذلل ... والثم تراب حمى علاه وقبل
لا تدعى عند الحبيب مكانة ... دَعوى المحب زدية لم تجمل
أدب الحضور مع الأحبة ذلة ... لم يحى فى عز الوصال الأفضل

---

(١) والدلالة فى ذلك من حديث أبى هريرة الذى رواه البخارىُّ وقال العلماء: الحكمة فى إلهام رَعْى الغنم قبل النبوة: أن يحصلَ لهم التمرُّن بَرعيْها على ما سيكلُفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن فى مخالطتها ما يُحصِّل الحلم والشفقة، ولأنهم إذا صبروا على رَعْيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سَبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدّة تفرقها، مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة الفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصَّل لهم من التدريج على ذلك برعىّ الغنم، وخُصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط وونها فى العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهى أسرع انقياداً من غيرها، وفي ذكر النبىّ ﷺ بعد أن علِمَ أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ﷺ عليه وعليهم أجمعين اهـ (سبل الهدى ٢/ ٢١١، ٢١٢).

لا تبغ منه سوى إرادته التى اختارها لك فى الزمان الأول
واصبر على ما يبتغيه ولا تكن متعرضًا فى أمره وتحمل
إن يقبلوك تعطفًا فبفضلهم أو يطردوك فعنهم لا ترحل

كان إبليس مع الملائكة كذا وكذا ألف سنة ما أخرجه من بينهم إلا ظهوز الخليفة قال له لسان حال آدم ليس للأندال أن يجالسوا أهل المراتب الشريفة فأنزل إلى مقتضى طبعك الأنزل(١) ومحل سجنك الأسفل ومستدعى طبيعتك الكثيفة من هذه المنزلة العالية المنيفة فقد مضى زمان لعب الذئاب بين الأغنام وجاء الراعى بعصاه ليرد كلاً إلى مرتبته من الإهانة والإكرام.

أمر الوجود على نظام محكم يجرى بتدبير الحكيم الأحكم
فإذا رأيت خلاف ما تبغى فقل طوعًا وسمعًا للعلم الأعلم
فى كل وقت للأمور مدبر قطب عليه مدار الأمر المبرم
مستخلف لله فى أرض له جاءته تلك وراثة من آدم
إن كنت من أولاد آدم يا فتى فاطلب خلافته بإرث واغنم
إن الخلافة لم تزل تأتى على سنن إلى أهل الكمال الأعظم
هذا تراه بعده ذلك وبعده هذاك فى حكم القضاء المحكم
خلفاء حق للإله بملكه يقضون ما يبغونه بتحتم
أتوا مقاليد السموات العلى والملك والملكوت حقًا فاعلم
فهم الملوك ومن سواهم عبدهم لهم على المخلوق كل تحكم
نفذت أوامرهم على كل الورى من غير نقض وغير تلوم
لا يسئلون إذا أتوا فعلا ولا يقضون أمرًا معقبًا لتندم
بل يفعلون بلا مخافة لائم أفعالهم عدل بغير تظلم

(١) الطبع: هو ما سبق القلم فى كل شىء، وهو لغة: الخليقة والسجية التى جُبل عليها الإنسان، وطبع الإنسان هو ما طبع عليه فى مأكله ومشربه وشدته ولينه وبخله وسخائه (القاشانى واللسان: طبع).

وما جعل ﷺ راعيًا للأغنام قبل دركه الأحلام إلا تنبيهًا على أنه الراعى الأعظم المتصرف المستخلف على تدبير العالم، أما تراه قد شفع فى الأول حتى عفى عن آدم وسيشفع فى الآخر لأولاده بالخلاص من جهنم، كلٌّ يقول: نفسى نفسى خوفًا عليها من الأمر المبرم لكونهم رعية يقول قائلهم: لا أملك إلا نفسى لكنما الراعى الأعظم يقول: أمتى أمتى لأنه راعيهم وكل راعٍ مسئول عن رعيته، فاعلم فهو الموجود عند شدائد الوجود، وهو المنفس فى الضائق عن سائر الخلائق.

نحن الذين إذا ضاقت مسالكها ... كنا لها نفسًا بالسيف والكرم
لا يخشى أبدًا ضيمًا مجالسنا ... ولا يخاف من البأساء والنقم
ونحن ذمة فى الدهر يعرفنا ... يومًا فلم نخش يوم الحشر من ضرم
فجاهنا واسع والفيض متصل ... وفضلنا شائع فى سائر الأمم
لنا المكانة فى العليا وشيمتنا ... بذل المكارم والإحسان من قدم

بُعث ﷺ إلى الأحمر والأسود والفصيح والأعجم، فيكون رحمة للعالمين.

فلا تظن رحمته مخصوصة بالمسلمين والمؤمنين فإنه ليختلج فى باطنى أنه سيشفع فى الخلق أجمعين.

الا تراه يقول ﷺ: «آدم ومن دونه لوائى ولا فخر»[1] ليت شعرى هل يصل إلى من يكون تحت لواء محمد شىء من الشر ما هذا ظنى بذلك العظيم القدر، وقد صح أنه قال ﷺ: «إن الله قد وعده أن يعطيه ثلاث حثيات بيده ممن قد استوجب النار» وأظن الإنس والجن بأجمعهم دون حثية من حثياتَ يد الله الملك الغفار.

ألا قل لمن أمسى سهير المعاطب ... وحفت به الأهوال من كل جانب
بأحمد تنجو من بلاء تخافه ... فلا تخش بالمختار هول المصائب
هو العاقب الماحى الذى عم فضله ... جميع البرايا من عدو وصاحب
أنى آخرًا إن السلاطين يا فتى ... يكونون حقًا آخرًا فى المواكب
كانت النبيين المحشين قبله ... عساكره فى الدهر بين الكتائب

(١) رواه أحمد بنحو فى «المسند» (٤ / ٥٤٦)، وهو حديث الشفاعة، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

فكل الورى للهاشمى رعية هو السيد الراعى شرقها والمغارب
إليه مقاليد الأمور جميعها بدنيا وأخرى ومعطى التلازب
عليه صلاة الله ما بلبل شدا وغنت على أيك طيور الخوالب

لما بلغ عليه السلام عمراً تدرك فى مثله الأحلام قيل له: اترك رعى الشاء والأغنام فأنت الراعى الأعظم الحقيقى لسائر الأنام إنما جعل الرعى لك كالطريقة للتحقيق بما سبق لك فى الحقيقة، لابد لظهور الأمر الموهوب من حركة منك أيها المحبوب فاسع بالجدّ كى تنال المطلوب (يا هذا) احذر على غنم الروح من ذئب شيطان النفس فلا تدع عصا مخالفتها من كتفك خوف النزغ والزيغ واللبس، لولا ما أراد نبيك عليه السلام من تحريضك على مخالفة نفسك وحسن سياسة باطنك على الدوام لما قال لك مربيًا بحكمته كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الحواس الخمس والقوى الباطنة والجوارح الظاهرة جميعًا رعية راعيها لبك وعساكر مالك أمرها قلبك فاستعملها فى الصالحات، فالعدل بها أحرى، إياك أن تستعملها فى الموبقات فتشقى بشقائها فى الأخرى ذلك ظلم فى حقها، وأنت بجزاء الظالم أدرى.

العدل من شيم الكرام فلا تكن يا سيدى فيمن وليت ظلومًا
واحسن سياسة أمر كل رعية نسبوا إليك وكن بهن رحيمًا
فالناس مجزيون بالعمل الذى هم عاملوه وكان ذا محتومًا

* * *

الفصل الثالث

فى سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله » الذى اظهر صور المعلومات فقيرها أعيانًا محسوسات مشهودة بمعانيها المختلفات وعين كل شيء فى كل آن بما حكم عليه من التعينات على حسب تنوع معانى التجليات التى كانت سبب ايجاد كل موجود من الموجودات، فعين بالأشياء من عدوة أدنى إلى عدوة قصوى فى كل وقت من الأوقات فخلقها فى نفس خلقًا جديداً للتصوير بصور الأحوال الطارئات تشكلاً بأعيانها على هيئة الأمور المقتضية للتقلبات ليكون العالم بما فيه من الأنواع المختلفات مسافرًا فى كل آن بسبب الترقى والزيادات، فقال عز من قائل منبهًا على ذلك للعبيد بقوله : ﴿ **بل هم فى لبس من خلق جديد** ﴾ .

سافر يكملك الجمال السافر ... نحو الأحبة فالوجود مسافر
ما فى البرية واقف فى منزل ... كل على شرط الترقى سائر
هذا يسير إلى الكمال منغمًا ... فى سيره وله ترق ظاهر
ويسير آخذاً للكمال منصبًا ... يخفى ترقيه لمن هو ماهر
كل يسير إلى العلا مترقيًا ... فى منهج أجراه فيه القادر
يجرى على حسب الإرادة أمره ... وفقيًا لأمر يقتضيه الآمر
والأمر يأتى باقتضاء صفاته ... فى قابلية كل كون دائر
والسير دورى لكل دائمًا ... ليعود نحو الأصل من هو بادر
فرجوع كل للإله كما بدا ... لكن بسعد ظاهر متكاثر
ربح الكمال بسيره فاتى وقد ... ظفرت يداه بكل خير وافر

(١) والدلالة على ذلك من حديث نفيسة بنت مُنية، عند ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٢٩)، وابن هشام فى السيرة (١/ ١٨٨)، وابن كثير (١/ ٢٦٢)، والكلاعى فى الاكتفا (١/ ١٩٦) .

السفر(١) الاصلى واحد كلى لا مستطيلاً بل دورى وهو السفر الحق من الحق إلى الحق من الله كان الابتداء وإن إلى ربك المنتهى، كما بدأكم تعودون وعلى منوال أرواحكم تعرجون وأعداد منازل هذا الطريق عضرة مخصوصة بهذا الفريق،

المنزل الأول: علم الله أول ظهور العبد هناك ولا أولية لذلك الظهور لعدم الإدراك والزيادة الحاصلة للعين الكونى فى المنزل العلمى هو تعينه فى العالم بماله من الصفات وثبوته على ما هو له من الأشكال، والهيئات بعد أن كان كالقطرة فى بحر الذات.

المنزل الثانى: هو الكتاب المبين واللوح المحفوظ الذى يظهر فيه العبد على التعيين وبين هذا المنزل والمنزل الأول سبع منازل خفية يعرفها الكمل فأربعة منها قديمة وهى الإرادة والقدرة العظيمة وكلمة الحضرة والتجلى المتعلق به أمر ذلك الموجود من التجليات الكريمة والخامس والسادس والسابع الكونى هو المنزل العرشى والكرسى والقلبى والزيادة الحاصلة للعبد فى هذه المنزلة أنه يصير معلومًا للملائكة المقربين فى هذه المرحلة بعد أن اكتسب فى نفسه البهية أسرار تلك المنازل الظاهرة والخفية.

المنزل الثالث: أصلاب ظهور الآباء يتعين فيه العبد كونًا كالذر، بل أخفى بعد ما قطع منازل شتى بينها وبين الأولى فمنها ما هى منازل أفلاكية عليا ومنها ما هو منازل عصرية أو زمنية سفلى والزيادة الحاصلة فى هذه المنزلة لأهل القافلة أن يتهيأ العبد فيها للخطاب الأزلى والجواب الأبدى.

المنزل الرابع: هى المنزلة الذرية الذى يأخذ الله فيه ظهور الآباء الذرية فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ

---

(١) فائدة: قال القاشانى: السفر هو هو عبارة عن توجه القلب إلى الله تعالى، بالذكر على اختلاف مراتبه.. والأسفار أربعة:

الأول: عبارة عن أخذ الإنسان فى التوجه من ظاهر النفس الملهمة فجورها وتقواها بترك مألوفاتها، وعاداتها إلى المقام الذى يظهر له ظاهر الوجود الواحد.

الثانى: عبارة عن أخذ الإنسان فى التوجه من ظاهر الوجود إلى باطنه بنفىّ كل عائق وقطع كل عالق.

الثالث: عبارة عن أخذ الإنسان فى التوجه عن التقييد بالضدين الظاهرىّ، والباطنى إلى حضرة جمع الجمع بين الظاهرية والباطنية والأولية والآخرية.

الرابع: هو التوجه من حضرة جمع الجمع، ومقام «قاب قوسين» الذى هو مقام الكمال إلى حضرة الأكملية، ومقام «أو أدنى» (اللطائف ٢/ ٢/ ٢٣، ٢٤).

شَهِدْنَا﴾(١) لما استعدوا فى المنزلة الأولى للخطاب دعاهم داعى الفضل إلى هذه المنزلة بالترحاب فكان الزيادة الحاصلة لهم حصول الشرف العظيم بسماع الخطاب القديم وأداء هذا الجواب الكريم.

المنزل الخامس: بطون الأمهات فيما يتعين بالجنين بالأشكال والهيئات بعد قطع منازل كثيرة خفيات كالمنزلة الحيوانية وقبلها منزلة النبات والزيادة الحاصلة للعبد فى الأرحام هو تصوره متميزاً بالروح والجسم بين الأرواح والأجسام.

المنزل السادس: هو العالم الدنياوى محل الابتلاء والاختبار ودار الزوال والفناء والتعب والأكدار، والزيادة الحاصلة للعبد هو تعين روحه بما للجسم من العين والأذن واليد والرجل، وأمثال ذلك من الجوارح وتعين جسمه بما لروحه من السمع والبصر والعقل والفكر، وأمثال ذلك من الجوانح فيأخذ الروح خاصية الجسم ليظهر بذلك كمالها، ويأخذ الجسم خاصية الروح ويظهر بذلك كمال الروح أيضاً، وما فيها من البهاء فيعطى الجسم الروح وسع صورته وكل هيئته وتأخذ معناها مكملاً بكليته ليحملها بما حوى معناها إلى مستوى الكمال الذى هو مغناها.

أهدت إليك جمالها الحسناء ... ليزين ذاك الحسن منك جلاء
فاستجل حسنا فائقاً ما فوقه ... للناظرين محاسن وبهاء
لولا ولادة كلما تهوى لما ... نكحت لجسمك روحك العذراء
فنكاحها بالجسم أجل ظهور ما ... فيه وفيها والكمال عطاء
حتى إذا استوفت جميع حقوقها ... رجعت إلى وطن هو المثول

المنزل السابع: هو البرزخ وهو المحل الذى يكون العبد بعد فراقه عالم الجسم وقبل وصوله عالم الروح الأشمخ فى هذا المنزل تكون الروح لأجل وجود طبع الجسم فيها ذات حكمين متحيزة فى أمرها بين نقيضين لوصفين، فإذا غلب حكم الجسم عليها كانت شقية سفلية دخلت معه فى سجنه إلى يوم الجمعية، وإن غلب حكمها على الجسم ارتفع بها فى الوصف والرسم فصارت سعيدة علوية وسكن معها فى السعادة الأبدية إلى

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢).

يوم القيامة والفوز بالأمنية والزيادة الحاصلة للعبد فى هذا المنزل خلوصه من الموت الجسمانى بتحقيق الحياة والعيش الروحانى وسره فيما كان فيه صورة المعانى لينسلخ بالكلية عند القيام إلى أحد جانبى تلك المبانى.

المنزل الثامن: المحشر وهو المسمى بيوم القيامة تقوم فيه حكم الأرواح بالكلية على الطبيعة التى نشأ عليها فى المجالى البرزخية، وهى أعنى طبيعة النشأة البرزخية مرتبطة على الأعمال والأقوال والأحوال الأولية، وهى التى كان عليها المرء فى دار الدنيا من العمل والنية ليحشر الله الروح متصورة بجسمها ويبعثهما بقدرته عند قيام الروح بالأحكام الروحانية على رسمها، ويحصل فيه جميع ما وردت به الآيات والسنة من الحسنات والميزان والصراط جاريًا إما على حكم العدل أو المنة إلى غير ذلك مما وجب الإيمان به حتما فتتعين الروح بصورة الجسم وتكون حاملة له غيبا وحكما فيتستر الجسم فى الروح فى دار القرار كما كان الروح مستترًا فى الجسم فى هذه الدار، وكان الجسم ظرفًا للروح فى الدنيا والأمر فى الآخرة بالعكس تكون فيه الروح ظرفًا للجسم والنفس والزيادة الحاصلة للعبد فى هذا المنزل انقطاع حكم الجسم عن الروح مطلقًا، وخلوص أمر الروح تحققًا إلى ما اقتضته نشأته البرزخية المتخلقة من طبيعة أعماله وأحواله الدنيوية الكائنة من تأثيرات التجليات الحاكمة عليه بمقتضى القابلية المرتبة على التجليات الآلهية الناظرة إليه فى المحتد الأصلى ثم المجالى الأقدسية ليرجع إليها العبد حتما بعد قطع جميع الأطوار الكونية.

المنزل التاسع: إما الجنة وإما النار المخلوقين للبقاء والقرار والفائدة الحاصلة لأهل هذه المنزلة، أن العبد يستكمل فيها جميع ما هو له مما اقتضته قابليته من السعادة والشقاوة والبلادة حتى يقطع بقية ما ألزمه الحقائق سيره وأعطته الحقيقة شره أو خيره إلى رجوعه للمركز الأصلى والمحل العلمى على استيفاء ماله من النقص والكمال والبقاء والزوال إما على طريق اليمين وإما على طريق الشمال، المنزل(١).

---

(١) قال المصنف الإمام الجيلى فى «شرح مشكلات الفتوحات لا من عربى»: ولما كان العالم الآخروى، نسخة من باطن الإنسان وروحه إذ كل منهما نسخة للآخر، فكانت الآخرة كالروح الإنسانية، باقية بإبقاء الله تعالى فلا يتوهم أن الجنة والنار تفنينان بحال، وما ورد من أن النار تفنى، ويشبت محلها شجر الجرجير إنما ذلك من حيث أوقاتٍ مخصوصة، ففناؤها وزوالها فناء مقيد لا فناء مطلق، لأن الآخرة، محلُ شهود الأعيان الثانية، التى هى معلومات العلم لأن الله تعالى يظهرها يومئذ، فيُروى منها كل واحدٍ، على =

العاشر: الكشيب لأهل الجنة والأعراف لأهل النار بعد أن يضع فيها قدمه الجبار والفائدة الحاصلة لأهل هذه المنزلة ذهابهم عن اللذات والآلام بوجودهم لذات الملك العلام فترجع القطرة إلى البحر، وتختلط الذرة القفر، فيضمحل وجود كل موجود تحت أنوار ظهور دولة الملك المعبود.

الله أكبر زال الكون أجمعه ... وما بقى غير ذات الواحد الأحد
وهكذا الأمر لكن كان فيه لنا ... حكم الظهور به فى دولة الأبد
فعندها ظهرت للعين دولته ... عينا فلم يبق غير السيد السند
وذلك عكس ظهور كان قبل لنا ... وغاب فينا فلم ينظره ذور مد
ماثم إلا حضور فى تعيننا ... منه وغيبة فى حضرة العدد

إشارة وتنبيه لكل عارف ونبيه: اعلم إنا ذكرنا لك وصول تلك النشأة الإنسانية إلى ربها بعد قطع سائر المنازل الأكوانية فى السفر الكلى المحيط بكل سفر جزئى والكلى هو السفر الأصلى المذكور فى أول هذا المسطور، وأما الخبر المحمدى فستة أسفار متداولة الأسماء بين الأسفار عند الأولياء الأخيار،

السفر الأول: نزول الحق إلى الخلق فى الأولية وحقيقة هذا الكلام هو بروز الخلق من الحق إلى الخلق فى الأولية وهى البداية لا فى الكمال والنهاية وهذا هو السفر الأول نفصلاً فاعرفه منعما متجولاً.

السفر الثانى: صعود الخلق من الجهل إلى العلم للحق.

السفر الثالث: صعود الخلق إلى الحق من الخلق ويسمى السفر إلى الله والذى قبله يسمى السفر فى الله.

السفر الرابع: سفر الخلق فى الحق بالحق.

= حسب مقامه عند الله.. ولا شك أن النار معلوم العلم الإلهى، فلا سبيل إلى زوال المعلوم عن العلم.
وقد كشفتُ بذلك عن أسرار شريفة لم يسمح بها أحد من المحققين، غيرة على تفاصيل المعرفة بالله، وفى هذه النبذة، زبدة جميع ما أفرده الشيخ فى الباب السابع من الفتوحات فافهم! أرشدك الله إلى الصواب اهـ. (ص ١٨٩، ١٩٠).

السفر الخامس: سفر الخلق من الحق بالحق إلى الخلق.

السفر السادس: هو سفر العبد من الحرية إلى العبودية وطرق أهل الحق متفاوتة فى الخلق فمنهم من سار على الترتيب إلى آخر المراتب الكونية بالتدريج والتدريب على مدى عمر الكون الطويل الهائل ومن القوم من طويت له المراحل وزويت له المسافات بين المنازل فوصل إلى الله وهو فى هذه الدار واستقر به عنده القرار فلم يلتفت بعدها إلى جنة أو نار فهم فى سيرهم منازل مخصوصة أمثال تلك المنازل المنصوصة المنزل الأول: البرزخ لأهل هذه الطريقة فموت نفوسهم المعلومة بالرياضة والمجاهدة برزخ لهم فى الحقيقة على أنهم إذا فنيوا عن الأكوان وغابوا فى ذات الرحمن حصلوا فى الجمعية الكبرى، فتلك لهم بمثابة المنزل الحشرى من الدار الآخرى، فإذا فتح باقيهم الباقى وسقاهم من كأس البقاء الساقى، كان ذلك المقام المحفوف بالجلال والإكرام لهم بمثابة الجحيم أو دار السلام فمن كان من أهل الجلال وسير به سير الفحول من الرجال كان ما يفجاه من صدمات قهر تجليات العظيم المتعال بمنزلة ما يلقاه أهل الشمال فى نار الجحيم من العذاب والأهوال، ومن ثم يسمى الجهنميون قوم هم الكمل المحققون، ومن كان فى القوم من أهل الجمال والإحسان وسير به سير السعداء فى ذات الرحمن كان ما وجده من اللذات بتجليات الملك المنان بمثابة النعيم لأهل الجنان، ومن انتقل من هذين اليدين من الرجال من تجليات الجلال والجمال حتى اتصف فى ذات الحق بالكمال كان كأهل الأعراف أو الكثيب وما بعد ذلك من النعوت والصفات إلا ما انفرد به الواحد بالذات، فإن كنت من أهل الإدراك عرفت نفسك أو عرفت من ذاك فهاك خذ سلافة القوم بالتصريح فى التلويح هاك.

خذها إليك عديمة الأمثال ... فى غفلة الرقباء والعذال
واستجل حسنًا منك فيك تخاله ... لسواك من يلقاك فى الاشكال
واحذر تنبهه على الشأو الذى ... قد جدت بالتعظيم والإجلال
دعهم على جهل بحالك واجتلى ... فى خلوة بجمالك المتعالى
حتى إذا جاءت مواطنك التى ... فيها ظهور العز والإجلال
فهناك يعرفك الرجال بما بدا ... من حسنك الجم العظيم العالى
فاقض على من شئت من كل الورى ... بسحاب فضل هامل هطال

واصنع فـدتك النفس مـا تخـتـاره فـــالملك مـلـك يـديك فـى الآزال

لكل موطن بضاعة موصولة وسلعة معروفة، فلا تبع جوهرة البقاء والكمال فى سوق زجاج النقص والفناء والزوال، بل كل الزفر بيد الغير واكتم لديك ما حويت من الخير، أما علمت أن مال متجر رسول الله ﷺ كان منسوبًا إلى خديجة لا إليه تنبيهًا لك على ما حرضناك عليه فلا تقف على ما حويت المنازل وسر طالبًا ربح تجارج الكمال والأكملية فى مفاوز المراحل، كما نبهناك عليه فى دوام سفر الوجود من البداية إلى النهاية وزيادته فى ترقيه إلى الملك المعبود فى الأول والغاية، وهكذا صفات الكمال تترقى بزيادة ظهورها فى نوعى الجلال والجمال فى الآباد والآزال، فلا تترك طلب الزيادة إن كنت من الرجال فذاك سر تجارة أكمل الأكامل وأفضل الأفاضل، إنما كان سفره إلى الشام لأنه ﷺ من اليمن لهذا ورد عنه الكعبة : يمانية وأنا يمانى فى الحديث الحسن، يعنى أن نفس الرحمن اليمانى هو محتد الروح المحمدية فى الوجود الرحمانى لأنه عن الذات فكان سفره له هو سفره من ذاته فى ذاته إلى الصفات، ولهذا جاء إلى بيت المقدس فى التنزيل، وذلك أعلى محتده فى الصفات للخليل، فجميع الأنبياء وجملة الأولياء مترقين فى الصعود والعروج إلى محتده على الدوام وهو متنزل إليهم من تجليات كماله إلى جلاله وجماله عليه وعليهم الصلاة والسلام فسفر الكل إلى اليمن أبدًا وسفره إلى الشام عليه صلاة الله وسلامه ما هطل هاطل وآله وصحبه إلا ماجد الأماثل.

الفصل الرابع

فى سر قوله ﷺ «جعل رزقى تحت ظل رمحى»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القيوم القائم الأحد الواحد الفرد الصمد الدائم الذى ستر بنور وجوده الكاتم ظلمة الكون الوجودى العدمى الملزوم واللازم أظهر نوره متخلقًا بأعيان حقائق الممكنات، وكساها من خلع الجمال ما اقتضته شئون أسمائه والصفات، وجعل كل صفة من صفاته ناظرة إلى كل موجود حكم صفة ليكون مظهر تجليها من بين سائر التجليات لتنحفظ المراتب فى العالم على تنوع أحوالها المختلفات، والصلاة والسلام الاتمان الأفضلان الأطيبان الأكملان على سيد الكيان وخير موجود من آل عدنان محمد بن عبد الله حبيب الملك الديان، وعلى آله وصحبه ما اختلف الأولون.

إخوانى: ما اشتغل بالخلق من صدق فى طلب الحق ولا ظفر بالمطلوب من أنس بغير المحبوب، العمر مع الأنفاس زائل وأنت إلى ما سوى الحبيب مائل: كيف تنال منه ما تواه يا جاهل وقلبك عن الحضور بين يده لاه وغافل.

قال شيخنا القطب الجليل: فخر اليمن أبو الغيث بن جميل قدس الله سره المثيل، واعلم أن المطلوب بعد صحة القصد هو الاسترسال فى الله هذا وصف المحب مع الاحباب أما علمت ما أثنى الله تعالى على نبيه أيوب بالرجوع إليه فقال تعالى ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢] يا هذا إذا حرض الله الأنبياء على دوام الاسترسال فيه بالرجوع إليه وملازمة الذهاب فيه بالوقوف بين يديه كيف يستقربك القرار وأنت غير مطرح عليه ولا مقيم عنده ولا عاكف لديه.

انخ مطيك بالأحباب يا حادى وانز ... ل بسقط اللوى من سفح ذا الوادى
ما بعد منزل من تهواه من تحلا ... عنه وظلت حداة الركب والهادى

---

(١) رواه البخارى (٦/ ١١٥) [فتح] تعليقًا، باب ما قيل فى الرماح، عن ابن عمر، وبقية الحديث: «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى».

(٢) سورة ص: آية (٤٤).

ليت النياق رمت من فى الهوادج إذ	جدَّ الرحيل ولا مالت لأبعادى
أم ليتها فقدت طرا قوادمها	ولا [illegible]دت بورد الماء والزاد
مالى وما لرحيلى عن حمى عرب	ف[illegible]هم من سبا قلبى وأكبادى
المقلقين لقلب فيه قدز نزلوا	[illegible]كنين لروح بين أجسادى
الضاربين حجابا من صوارمهم	على البدور فلا تبدو بلا اشهادى
هم يغنى ومنى قلبى وعندهم	مأواى حقًا وتأويبى وتردادى
لا أبتغى بدلاً من أرضهم أبدًا	إن مت فيها فيا عرسى وأعيادى

ما قال لك الحكيم الأعظم رسول الله ﷺ : «جعل رزقى تحت ظل رمحى» إلا تحريضًا على التعلق بالله وتنويها وتعريفًا لك بما فى ظل الواحدية من الكمالات وتنبيهًا فإنه كان بالله يصول وبه سبحانه كان يجول فرمحه فى المعنى هو هذا الأمر الأسنى، فالزم العكوف على هذا الجناب فعن قليل ينفتح لك الباب وتتنعم بملك الكمال فى ذرى الأحباب.

أدخل به فى ظله	وانزل بسوح محله
واعكف عليه قربما	جاء القرى من فضله
لا ترحلن عنه ولو	أقصاك عنه بفعله
فالحب قد يرمى الفتى	بسهامه وبنصله
ليرى مكان وداده	مته وغاية شغله
فإذا رآه مبلبلا	بالود عاد بنزله
وإذا رآه سالينا	أقصاه عنه بجهله
فالزم فديتك ذيله	لا ترحلن عن ظله

يا هذا من دخل فى ظل الحق أمن من شر الخلق وشملته شمائل السعادة، وصحت فى حقه نسبة الحرية والسيادة، فكان العبد المطلق المعروف بالعبودية عند الحق فصار قطرة فى بحر سيد المرسلين، فالتحق فرعة بالأصل المتين غدا كليًا بعد أن كان جزئيًا فنال بالتمكين المحمدى مكانًا عليا.

سلت بالخل الأماني والمنى ... فلقلبي والحشى كل الهنا
قسماما فاتني من فاتني ... بعد أن زار مقامي علنا
من كمثلي وحبيبي حاضر ... قربني منه فضلاً ودنا
رفع الحجب فما كان سوى ... وهم يعد في التنائي بيننا
يا خليلي قفا في منزلي ... وأسالاني حال أهل المنحنا
كلهم عندي مقيم حاضر ... قد أقاموا بين أرضي والفنا
لا تعداهم حيا وسمية ... سائلاً صبًا كمثلي ديدنا

من ألزم نفسه على الدوام شهود صورة علمه في الله فعن قليل يحظى بمشاهدة العيان للكمال الآلهي من غير نسبة علم اليقين من عين اليقين، كنسبة طلوع الفجر من الإسفرار إلى بياض الصبح وضوء النهار ونسبة حق اليقين من حقيقة اليقين تحققًا من غير لبس كنسبة ضياء النهار إلى قرص الشمس وبعض الأمر متصل بالبعض أين المشغول بسنته والفرض؟.

دع عنك شغلك بالحمى والمنزل ... وانظر إلى ذات الجمال الأكمل
نزه لحاظك في محاسنها التي ... تجلى على عشاقها في المحفل
ما كالحبيب وحسنه وبهائه فا ... صرف حواسك في المليح الأفضل
لا تقنعن منه ببعض ملاحة ... لاحد للحسن البديع الأجمل
لا تنتهي عن قصده فجماله ... لا ينتهي وسلوه لم يحمل
فالزم تعلق قلبك العاني به ... واهجم على إحسانه بتطفل
فصفاته أن لا يخيب قاصدًا ... فدع الحمى بتخضع وتذلل
واستحضر الحسن البديع تعملاً ... كم خلة نال الفتى بتعمل
لا يوقفنك في الحضيض تأدب ... أدب الفتى طلب الحبيب الأول

إذا استقام القلب على شهود الأحدية أخذته إلى مكانتها الكمالات الآلهية، فظهرت آثار الأسماء والصفات عليه وحينئذ يفيض الجم على القلب بما صار عنده ولديه، فالخير

كل الخير فى شهود الواحد الأحد وإسقاط الكثرة والعدد فإن فى ذلك الرزق المحمدى وذلك عن الخلق العظيم الإلهى، وإليه أشار بقوله جعل رزقى أى المعانى الكمالية التى بها تتقوى فى الترقى إلى ربها الروح المحمدية، تحت ظل رمحى أى الأحدية ألا تراه عليه السلام يقول اللهم بك أصول وبك أجول فالحق خير عدة للكل فى كل شدة به يرمى الرامى ويسمو السامى وينمو النامى.

يا من بهم فى الخافقين تهتكى ولأجلهم ذلى وكل تنسكى
بكم ملكت العالمين حقيقة يا سادتى وبكم يحق تملكى

اصبر على الجد والاجتهاد فسوف يفجأ الوقت بغتة بالمراد، أظنك تزعم أن غاية الجد والاجتهاد هو مخالفة النفس والسياحة فى مفاوز الأغوار وكهوف الأنجاد كلا.

إنها لأسهل شيء على العباد وأقل قدم للسالكين الزهاد وإنما الجد عند الرجال الأمجاد دوام تعلق القلب بالمحبوب لحصول المراد وضبط الإحساس فى الأنفاس على مشاهدة الواحد بنفى الإعداد ففى ظل الواحداية رزق الكمل الأفراد.

* * *

الفصل الخامس

فى سر قوله ﷺ «المرء حيث يضع نفسه»[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتجلى فى سائر المراتب بما هو مستحق له من التفاوت فى المناسب على ما هو عليه من العلو والسفل والنقص والكمال والأمر الملائم والمضاد والمناسب كل ذلك بغير حلول فيها أو مزج لها أو اتحاد بها أو انفصال عنها أو اتصال معها فى التباعد والتقارب بل كما يستحقه عز وجل فى كماله من المكانة بالذات والوصف الواجب على ثبوت ما أوجبه له المعنى الكمالى، ونفى ما نفاه عنه التنزيه القدسى السالب، فهو الواحد المتعين بحقائق الكثرة المنزه عن المكان المخصوص فى تجليه الأمكنة والجهات من كل جانب وإلى ذلك أشار بقوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢] أى فى الملك المشهود أو الملكوت الغائب، والصلاة والسلام على سيد الأنام وخاتم رسله الكرام المبعوث من آل غالب وعلى كل آ له أو خليفة أو صاحب.

أما بعد.. فلما كان آدم المعبر به عن الإنسان مخلوقًا على صورة الرحمن، فكان الحق متجليًا بوحدانيته فى كثرة الأعيان ظاهرًا بعزة ربوبيته فى دولة عبودية الأكوان كان للإنسان الظهور بكل مرتبة من المراتب فى العيان إذ هو من الحق بمنزلة إنسان العين من عين الإنسان لأنه خليفته وللخليفة الظهور بصورة المستخلف السلطان.

يا من أقام وجودى فى الهوى بدلاً ... عنه وصيرنى فى الحسن مكتملاً
ما أنت حاشاك غيرى فى الورى أبدًا ... لكننى أنت كن عنى إذًا بدلاً
لبستنى فلبست الحسن أجمعه ... لما لبستك إذ ألبستنى الحللا
قد صرت حيثك لما كنت من قدم حـ ... ـيثى ولاحيث فى التحقيق منفصلاً
جعلت لى منك فى التحقيق مالك من ... جعلى فكلك كلى واحد أزلاً
إن ادعيت كمالاً أنت تملكه ... فقد صدقت كما لو ادعى العللا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

فالحسن لى وكذلك القبح من نعتى ... صفتى بما ينبغى لا تخش من جهلاً

(سبحان) من نفخ فى الإنسان روحه وأشرق فيه الوجه ثم نزل من ذاته إلى أسمائه وصفاته ليحيط به إلى عوالم مخلوقاته وكلما أنزله فى عالم طبع فيه جميع ما يحتويه ذلك العالم من أسراره وبركاته، حتى أقامه فى أسفل سافلين بعد أن كان صاحب أعلى عليين ليستوعب الكمالات والنقائض، ويحيط بالمراتب على العموم والنعوت والأسرار على الخصائص، ففى أى مرتبة أقام نفسه فيها كان ولى تلك المرتبة وواليها، فإلى ذلك أشار السيد المالك بقوله عليه السلام والتحية والإكرام «**المرء حيث وضع نفسه**» فإياك أن تكون ممن جعل مكانه نحسه وجفا مكانته العليا وقدسه:

إلزم فديتك النفس أعلا منزل ... وأقيم هناك على الكمال الأفضل

لا ترحلن عن ذلك المعنى فما ... فى غيره خير فلا تترحل

الخير كل الخير عند الله كن ... يا صاح ثم وعنه لا تتنزل

فالشر كل الشر فى نفس الفتى ... لا تأتها أبداً ولا تتعلل

واحمل صفات الله لا مستثقلاً ... فالأمر أن يحمل به لم يثقل

كن ذات ذاك الوصف فى تمكينها ... منصرفاً بتعظم وتبجل

واقيم هناك مدا الزمان ولا ترد ... عنه انصرافاً ياله من منزل

هل بعد ذات الله مطلوب لمن ... يرجو علواً فى الفخار الأكمل

دع كل ما فى الكون يعنى جملة ... واقم هناك دائماً بتحمل

فجميع ما تهواه ثمَّ مهيأ ... مما طلبت وكلما لم تأمل

وإذا صرت هناك قلت لكلما ... تهواه يأتى صاغراً بتذلل

فاصبر قليلاً يا فتى تنل العلا ... والزم وقوفك بالحما لا تتعجل

واحمل على جيش الصبابة حملة ... تملك بها ملك الوجود الاول(١)

---

(١) **فائدة**: قال الشيخ المصنف الإمام الجيلى فى «مراتب الوجود» المرتبة الاربعون: الإنسان وفائدة معرفة النفس: من مراتب الوجود هى الإنسان وبه تمت المراتب، وكمل العالم وظهر الحق تعالى لظهوره =

يا هذا: افتح أذنك واستحضر ذهنك كل العارفين المتوجين من الحق بتاج التوحيد والمعرفة ما تصرف منهم فى ملك الكمال إلا من أقام العمر كله فى تلك الصفة، ومن تهور فى الحقيقة لما تنزل وتصور ذلك المغنى إذًا تعمل فهو المتسلى عنه الله بالله من العارفين الفضل ورتبته دون رتبة الملازم للمعنى الأول إذ هو من المحققين الكمل، فلا يغرك قول من قال: إن النزول بالحق عن الحق إلى الخلق أكمل حال إنما ذلك بعد تحقيق الكمال صورة، ومعنى بالتصرف والتمكين فى سائر الصفات والأفعال، فمن نزل عن الحق إلى الخلق لطلب الأكملية قبل تمكينه من المكانة القطبية، إنما هو مخذول مخدوع ومصرف عن المرتبة الألوهية وموضع الخداع والمكر تسلية عن الحق بالحق فى الخلق ليحط رحاله فى المرتبة الكونية من غير علم له بهذه النكتة المخدعية، لأنه كلما رجع رأى نفسه منطلقًا فى المكانة الحقية غير مقيد بالتقييدات الخلقية وفاته العلم، بأنه ليس كذاك إلا بعد الصعود إلى هناك فهو صاحب الشراب الممزوج الزنجبيلى المأخوذ من العين السلسبيلى الذى جعلت فيه قطرة من بحر الشراب الكافورى الذى هو شراب عباد الله صرفًا فى الخلد الحقيقى من تحقق تخلق وتخلق وتحقق، ومن تخلق تمزق فى الحق وما تخلق كل من فرط حروفه فقط ففهمه غلط.

اسقنى الصهباء صرفًا أحمرًا ودع المزج لغيرى أصفرًا
وامل كاتبات المعانى كلها أنا فى شربى لها لن أسكرًا
لا تخفف عربدة منى فما أنا من يوهيه أمرًا مصدرًا
أنا من يطلبنى أهل الهوى فى دجى الوجد فأبدو منذرًا

= الأكمل على حسب أسمائه وصفاته، فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة وأعلاهم مرتبة فى الكمالات فليس لغيره ذلك، وقد بيناه أنه الجامع للحقائق الحقية والحقائق الخلقية جملة وتفصيلاً، حكمًا ووجودًا بالذات والصفات لزومًا وعرضًا، حقيقة ومجازًا، وكلما وأيته أو سمعته فى الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان أو اسم لحقيقة من حقائقه، فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات، وهو العرش وهو الكرسى، وهو اللوح، وهو القلم، وهو الملك، وهو الجن، وهو السماوات وكواكبها، وهو الأرضون وما فيها، وهو العالم الأخروى وهو الوجود وما حواه وهو الحق وهو الخلق وهو القديم وهو الحادث فلله در من عرف نفسه معرفتى إياها لأنه عرف ربه معرفته لنفسه، اهـ (ص ٥٣، ٥٤) ط مكتبة القاهرة بالصنادقية.

خمـرتي ذاتي وكـاسي وصنفـهـا أبـدًا غـيـر شـرابي لا أرى
لا أراني الله غـيـري أبـدًا لا أرانـي لا أرانـي لا أرى

كن محمدى المشهد إحدى المحتد حيث قال: ﴿ رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾(١) جعل فعله عين فعله وجعله غير جعله إلى أن ترقى إلى ما أبرزه لأجله وأظهره من كماله بقوله لعبده الكامل الأواه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾(٢) لما اتحدت الصفات، ولما اتحدت الصفات اتحدت الذات ظهرت الأفعال والانفعالات وإلى ذلك المعنى أشار بقوله الله الرحمن الرحيم في كتابه عن كلامه القديم ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾(٣) لما أضاف محمد في الأول فعله إلى الله أضاف الله إليه فعله في الآخرة فكان ﷺ الأول والآخر والظاهر والباطن إذ هو العليم الولى المجيد القادر والعظيم القوى المريد القاهر فاغترف بالسعادة من بحر الأحدية واتبع آثاره في منهج الكمالات الإلهية لتفوز بالمكانة القطبية وتنفرد بالغوثية الفردية وتدخل في طرف حاشية من حواشى تمكين الروح المحمدية عليه الصلاة والسلام ما دامت الموجودات الحقيقية وآله وصحبه خير البرية(٤).

* * *

(١) سورة الأنفال: آية (١٧).

(٢) سورة الفتح: آية (١٠).

(٣) سورة الحاقة: آية (٤٠).

(٤) قال الشيخ الجيلى فى الكمالات: «اعلم أن محمداً ﷺ هو النسبة التى بين العبد والرب، فآدم ومن دونه إنما استحق الاتصاف بالصفات الإلهية لكونه نسخة من محمد ﷺ، فينبغى لك أيها الأخ الكريم أن تعرف أولاً: صحة كونه النسبة التى بين الله وبينك، ثم ينبغى لك ثانيًا: أن تعرف ما لله من صفات الكمال وما يستحقه فى قدسه الكبير المتعال، ثم ينبغى لك ثالثا: أن تعرف اتصاف محمد ﷺ بتلك الأسماء والصفات الإلهية حتى تسلك طريقه القويم وصراحه المستقيم، فالحق تعالى يقول: ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ وإنك لمحتاج أيها الأخ فى سلوك طريقه إلى معرفة نفسك، فهذه أربعة معارف لابد لك منها، أى من تحقيقها.

(الفصل السادس)

فى سر تحبيب النساء إليه وتكثيره من الزوجات وكون ما أحب منهن حل له نكاحها دون زوجها فى محكم الآيات ونكتة انقطاع هذا الحكم بعد وقت من الأوقات.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذى وجب وجود العالم لمعرفته، وخلق الموجودات على أكمل نظام بحكمته، فجعل كل شيء كاملا راجعًا إلى صفته لظهوره فى كل موجود على حسب ما اقتضاه ذلك الموجود بقابليته، فالظاهر واحد والظهور مختلف لوسع المظهر وضيقه ولطفه وكثافته، وكل مظهر له محتد ظهورى من ذات الحق أو نعته، وذلك المحتد عبارة عن معنى من معانى كمالات الواجب بذاته وصفته، فالموجودات منتظمة المعانى على حسب مقتضى أسمائه وصفاته التى يحسبها يكون توجيه إرادته وقدرته فى الظهور الوجودى عند التكوين بكلمته والصلاة والسلام على نور حضرتهوطراز خلعته وزبدة مخيض معرفته وسيد أهل قربته وسرد ذاته وصفته خاتم أنبيائه المخصوص بنبوته وتاج المرسلين المتميزين بأعلى المراتب من مكانته ومرتبته محمد بن عبد الله المبعوث من أشرف بريته وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته وسائر أمته صلاة دائمة بدوام ألوهيته.

إخوانى: فاز من توجه إلى الحق بكليته ولازم على دوام التعلق بالله باطنا بقلبه ومهجته فى استحضار كماله الباقى وعظمته وظاهرًا جسمه وصورته فى أداء فرضه وسنته فهو الجزاء الحقيقى الخليق بحصول بغيته والمتحقق بثمرة توجهه ونتيجته.

يا هذا: توجهك إليه علامة علو شأنك عنده ولديه إذ لولا توجهه إليك ما اعتمدت بتوجهك عليه، أحبهم فأحبوه أرادهم فأرادوه ولما قابلت محبته لهم لمحبتهم إياه حصل النكاح المعنوى المثمر لفناء ما سواه، فيكون العبد حينئذ كما أن لم يكن، والحق كما لم يزل وهكذا الآن كما هو الأمر وحق الله لابد للنتيجة من مقدمتين بحيث أن يكون طرفاهما متناسبين ليحصل التناكح بين القضيتين، فيظهر الولد المسمى بالنتيجة فى العين، ألا ترى إلى أن الحق سبحانه وتعالى لما أراد ظهوره من علمه بالعين خلق العالم وصوره على صورته فى حضرة الآبن، ثم تجلى على العالم بأسمائه وصفاته فعرفه كل ذى سمع وعين فالمعرفة نتيجة التناكح المعنوى أى دخول حكم الأسماء الإلهية والصفات

الربانية فى حقائق العالم، فكان العالم مخلوقا منه كما خلقت حواء من آدم ومحمد نتيجته التناكح الصورى الآدمى الحوآىء ﷺ، فآدم سر العالم، ومحمد ﷺ سر آدم ولأجل هذا كان ﷺ محل المعرفة الكمالية بالله التى خلق الله لأجلها العالم، إذ هو أكمل موجود فتعين ظهوره بالنتيجة المطلوبة وهى المعرفة التى خلق الله العالم لأجلها فى الوجود.

لولا سناك وما حويت من البها ... ما كان قد ظهر الوجود المطلق
أنت البديع محاسنًا وملاحة ... يبلى الزمان ووصفها لا يخلق
ضربت سرادق حسنك الباهى على ... العرش المجيد إحاطة لا ترمق
فلك الولاء بأصالة وولاية ... ولك العلى يتمكن لا يسبق
أنت المراد من الوجود وعلمه ... بوجود موجده فأنت محقق

(محبته) ﷺ لنا عين محبته تعالى لمعرفته بلا خلف ولا عناء كما ورد فى الحديث القدسى عن النبى ﷺ حاكيًا عن الله فيما ترجم أنه قال «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق، وتجليت عليهم فعرفونى**» وأحب تعالى ظهور الحقائق فخلق لذلك الخلائق وأحبه ﷺ للتحقيق لكل حال ثم فكان حب العبد الأواه تبعًا لحب الله ولأجل ذلك قال: «**حبب إلى النساء**» ليضيف الفعل إلى المتعال ولم يقل: أحببت بإسناده إلى نفسه فى الحال فعين ما حببه لأجله، النبى ﷺ هو عين ما أحب الله بسببه العالم لأنه أحب ظهور ما لديه من الكمالات المعبر عنها بالأسماء والصفات وهو عين المطلوب للنبى المحبوب فكأنما عبر بقوله ﷺ وشرف حبب إلى النساء عن قوله فأحببت أن أعرف فالذى قال «**كنت كنزًا مخيفا**» هو القائل «**حبب إلى النساء**»(١) ولكن أضاف الفعل إلى نفسه أولا للربوبية وإلى غيره ثانيًا لمظهر العبودية فتأدب بآداب الكمال، واختص بأن كان هو حبيب المتعال، وسر ذلك أن الحب أول توجه من الحق لوجود العالم ومحمد أول موجود ﷺ فكان أول التوجهات مقاما لأول الموجودات.

---

(١) قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى فى زاد المعاد فى هدى خير العباد ﷺ (١/ ١٥٠، ١٥١): «**حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة**، وهذا لفظ الحديث ورواه النسائى والإمام أحمد والطبرانى وابن سعد، عن عائشة وأنس وسلمة بن كهل رضى الله عنهم.

* **قلت**: ورواه النسائى (٧/ ٦١) فى عشرة النساء وأحمد فى «المسند» (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥/ ٢) وسنده حسن، وصححه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ١٦٠) من طريق آخر، ووافقه الذهبى.

الحب أول ذا الوجـــــود المطلق — والحب أخـــرجكم خلق مـــرتق
بالحب كـــان الابتـــدا لوجـــودنا — وبه الختـــام لمن درى بتـــحـــقق
لولا مـــقـــام الحب أعلى رتبـــة — مـا كـان اسم حبيبه العبد التقى
فـــالحب علة كل أمـــر ظاهر — والحب شيـمـة كل عـبـد متـقى

ليت شعرى: هل علمت لما أحب المعبود ظهور هذا الوجود أحبه لأنه أوجده نسخة جماله وحلاله فكان بوجود العالم ظهور كماله، فأراد شهود باطن صورة نفسه فى ظاهر الحسن المجعول مرآء لقدسه ومظهراً لهيبته وأنسه، فنفسه المحبوبة المشهودة وملاحته المطلوبة الموجودة، وكذلك محبة آدم لحواء كانت لكونها خلقت من ضلعه شخصاً مستوى، فالمحبوب إذن له نفسه والمرغوب إليه حسنه المشاهد له حسنه، والروح المحمدية فى محبتها للذات الإلهية غير الوصف المذكور والأمر المسطور إنما أحب ذاته ونفسه وصفاته وما ضرب ستار العيزية بينه وبين الربوبية إلا لإبقاء المقام حقه فلا يقال: أن خلقه حقه وهكذا يفعل كل أديب وعارف ولبيب فقوله: حبب إلى النساء، إشارة إلى الذات ولا خفاء لأن المرأة مخلوقة من ضلع الإنسان وضلعه ذاته بلا خلف وجحدان والذات محبوبة بالطبع لكل أحد تاسيساً بمحبة الواحد الأحد ولذلك صحَّ لمحمد استيعاب الكمالات من سائر الجهات ففاز بكمالات الوجود الخلقى، فإن كنت مؤمناً فأنت منه لقوله: «**والمؤمنون منى**» فلا تخرج عنه أطلق مطلوبه وارغب مرغوبه وأحبب محبوبه تشرب مشروبه ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾(١) فاستيقظ يا هذا من هذه السنة.

إنى رجـعـت إلى الحـبـيب بحـبـه — فى حسنه البـاهى البـديع الأحسن
وذهبت فى أوصـــافــه غنى به — فى شـام مـعنى نعـتـه والأيمن
فـــفنيت عنى فى بقـــاء جـــلاله — وبقـيت عنه فى الملاحـة إذ فنى
أعطيـتـه مـا كـان لى بكمـاله — وأخـــذت منه مـــاله يتـــمكن
فـتـبـدلت أوصـافنا فـينا بنا — من غـيـر وصف تحـقق وتكون

---

(١) سورة الأحزاب: آية: (٢١).

إنما : كان النساء تحرم على الأزواج ويحللن له إذا نظرهن بعين المحبة والابتهاج تنبيهًا على أنه الأول بالكمال المطلق من كل مخلوق بالحق فى الحق فهو أجدر بكل صفة إلهية من كل خلق وأخلق وأكمل فى التحقيق بها وأسبق، فهو المنعوت بالأكملية ومن سواه به ملحق، وسر انقطاع حكم هذه المحرمات بعد العمل بها إلى وقت من الأوقات إنما هو إشارة على أن السباق واللحاق بنسبة التفرقة فى التعينات وذلك مخصوص بالحجاب فى دولة الغيرية والتغيرات فإذا زالت الغيرية فلا وجود للاثنينية ينقطع هناك حكم الحلال والحرام والصيام والثواب والآثام بل وتذهب سائر الأحكام لظهور وجود الواحد كفاحًا بلا احتشام.

(الفصل السابع)

في سر تحبب الطيب إليه ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذى) طب نشر الملأ الأعلى بصفات الحسن والجمال وجلا المقربين من الكروبيين بنعوت المجد والجلال وخلع على الصفوة من أوليائه خلع الكمال فحبب إليهم الترقى إلى ذاته بملاحظة صفاته وحققهم بمعانى أسمائه وسماته ليظهر عليهم آثارها بوجوده وهباته آخذة بنواصى خلقه إليه من كلتى يديه حجب الغافلين عن ذلك وكشف للحاضرين لديه.

فأدنى الخل إلى كل حسن ... وبلانى بالعطايا والمحن
يرحل الشام بى آونة ... ثم أخرى ينقلنى لليمن
فترانى ذا صلاح مدة ... وترانى ذا فساد فى زمن
قلت مالى لا أرى لى ثانيًا ... قط فى أمرى لعلى مفتتن
قال لى أنت لما أطلبه ... آلة ليس لها فعل يسن
نحن نجديك على ما ينبغى ... أمرنا أسمى علا وهو حسن
تدر من أنت إذا قلت فلا ... وحياة الحب أدرى أنا من

هؤلاء قوم أشهدهم جريان قدرته بين يديه، فأوقفهم بواسطة تجليه فى الأفعال عنده ولديه، ثم اصطفى من أهل الحضور قومًا كانوا أعزة عليه، غيبهم به عنهم فما شهدوا فى العالم سواه، ولا خطر ببالهم أن ثم موجودًا غير الله، فما شعروا بالسكون والحركات ولا فطنوا لتعاقب الدهور والأوقات، بل غابوا فى الله وبالله عن سائر الموجودات، لا يخطر فى أنفسهم ذاتهم ولا يعرفون فعهلم وصفاتهم تفوح منهم روائح الجمال ونفائح الجلال لما قد تعطروا به من صفات الكمال لا يشعرون بما فيه من الأفعال، بل ذاهلون فى شهود الجمال فانون عن الوجود بكل حال.

مثل ذلك الصرعى من المجانين، وإن كان الفرق شاسعًا ولا نسبة، ولكن وجود هؤلاء تقريبًا مثاليًا للناس عن بعض حالات الروح كمثل ما تفنى حاسة الشمس لدى الإنسان، أعنى تنصرف ضوابطها وقواها فى رائحة الطيب التى يتطيب به صاحبها فلا تقع قواها على معرفة غير ذلك مما قد يحيط بها من الروائح التى لا تبلغ قوة نفوذ العطر المتمخض به صاحبها وهى التى لا يخلو ما يحيط بها من الأماكن من روائح كثيرة حسنة وقبيحة، وبقدر قوة الطيب بقدر ما يكون استغراق قوى حاسة الشم فيه وعدم الالتفات إلى غيره.

أفناهم الحسن البديع المطلق ... ففنوا به فيه لديه وما بقوا
كشف الجمال لهم نقابًا مطلقًا ... فرأوه من كل الجهات وحققوا
أخذتهم فى البحر أمواج البها ... وطفا عليهم ماؤه فاستغرقوا
هلكوا جميعًا فى الملاحة وحدة ... فانين فى التوحيد عما يطرق
لا يشعرون سموتة وببعثة ... ونعيم جنات ولا ما يحرق
ذهبوا به فيه ذهابًا كاملاً ... فتتوجوا بجماله وتطوقوا
شقيوا بطيب الحق عن بين السوى ... فتخلصوا عما سواه وما شقوا

لما هبت عليهم نسمات العنايات بطيب الكمالات امتلأت مشامهم بعبير عنبر تلك السمات فامتسكت عن شم السوى بطيب مسك محاسن أسمائه والصفات فهاموا به من الآزال إلى الآباد وانقطعوا فى الوحدة عن الكثرة والأعداد فهم المسمون عند أرباب الدرايات بأهل تجلى الأسماء والصفات ثم اصطفى من هذه الطائفة الكريمة نبذة اصطنعهم للخلافة العظيمة فجردهم عن تلك المجالى وأوقفهم بهم فى أسعد مكانات التعالى ذهب بهم عن النعت والرسم والوصف والاسم فشهدوا ذواتهم بعين تلك الإشارة واستغنوا بهم عما لا تحويه العبارة ففنيعنهم فى هذه المقام ما كان أفناهم من ذلك الحسن التمام.

أفنيته فى باطنى ... من بعد ما أفنانى
هذا بهذا فى الهوى ... لا تنكروا أفنانى

هذه الطائفة هم أهل الذات وهم الصفوة الذاتيون إذ غرقوا في بحر الذات فانطمسوا وهلكوا فيها واندرسوا ماتوا موتة أبدية، وعاشوا عيشة أزلية فلا يرجون بعدها موتًا ولا حشرًا ولا بعثًا ولا نشرًا، بل لا يخطر بهم شيء غيرهم فكل منهم عينهم لأنه هو الذات الساذجة الصرفة المطلقة المتحققة التي يعبر عنها بالوجود الكلي والوجوب الحقيقي، ثم اصطفى منهذه العترة الشريفة نبذة قليلة لطيفة حكمهم بذاته في معاني صفاته، فتنزلوا بالذات في قوالب الأسماء والصفات وتلونوا بكل لونٍ في الكمال من الجمال والجلال.

حكمي الحق بإسعافه ... في معاني الجمع من أوصافه
مكنني من مقاليد لها ... إنما التمكين في أعراقه

تهب على الوجود منهم في كل نفس نسمات عطرات ذات نفس تحيي بشميم نسيمهم موات القلوب وتوجد عندهم عيانًا جميع أسرار الغيوب انكسرت أوعية قلوبهم من أجل محبوبهم، لا يوجد الله إلا عندهم ولديهم فأنزل بسوحهم معتمدًا عليهم، هم المطيبون بأطياب الكمال الملطخون بعبير عنبر الجلال والجمال وهذا هو الطيب المشار إليه في الحديث النبوي الشريف ﷺ.

نسمات طيبك هيجت أشجاني ... وشميم عطرك عن سواك سباني
إني سكرت بنسمة عطرية ... فيها روائح حضرة الرحمن
عطارها متقدس متنزّه ... متصور طيبًا بكل معاني
من شم منها شمة نال المنى ... من كل ما يهوى بغير توان
طيب لو أن الميت شم نسيمه ... لغدا حياة محيي الأكوان

(الفصل الثامن)

فى سر جعل قرة عينه فى الصلاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صلى على الصفوة من عباده الكرام وحياهم بتحياته والسلام فجعلهم من أفضل الفرق وهداهم إلى أقرب الطرق، ظهر لهم فى الكاف والواو والنون، وتجلى لهم فى كل حركة وسكون فاستوت عندهم به الاماكن وتساوى لديهم عذر المتحرك والساكن رأوا فعله فى الوجود فلم يسندوا حقيقة عمل بعدها إلى موجود، تصور كل متحرك فى الوجود عندهم كالقلم فاتخذوا نسبة وجود الفعل إلى الفاعل كنسبة العدم أنشد لسان حالهم لطيف مقالهم:

لا فعل لى إن قلت إنى فاعل والقول لا قولى إذا أنا قائل

ما فى الوجود جميعه من فاعل شيئًا لانك فعله والفاعل

كذب الذى هو مدع فعلا له بالانفراد فإنه بك جاهل

أنت الذى تعطى وتمنع فى الورى

حقا وتقطع من تشاء وتواصل

فعل البرية عين فعلك سيدى وهم كالآلات وأنت العامل

تفرق القوم عند هذا الشهود فسلك كل طريقة فى الوجود علمًا بأن الآخذ بالنواصى هو فاعل الطاعات والمعاصى فشتان حالتىّ العبدين فى العلمين وشبيهان حركاتهما فى الحالتين، ليس لهذا بفعل الطاعة من عمل ولا لذلك فعل بإتيان الخطأ والخطل، لكنه جعل المطيع ممن شمله الفضل ومصير العاصى ممن قضى عليه العدل، فبفضله فإن المطيع الآيب وبعدله هلك العاصى الخائب وهذا المعنى قول ذى المتعالى هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى لكنما المحب العاشق والمستهام الموافق يقول كلما صدر من المحبوب، فهو غاية المطلوب ونهاية المقصود والمرغوب.

حكم سيوفك فى رقاب أولى النهى
ما ثَمَّ إلا طائع أو راضى

يروا مواقع مشيئته والإرادة فشغلوا عن مقتضى الشقاوة والسعادة واستوى عندهم مراده فعل المعصية والعبادة فسعوا على الأجفان إلى المراد من غير ما توقف وعناد فقال قائلهم:

أتيت الذى يقضيه فى مراده ... وعينى له قبل الفعال تطالع
فإن كنت فى حكم الشريعة عاصيًا ... فإنى فى حكم الحقيقة طائع

هؤلاء هم أهل حقيقة السعادة ولهم دون من سواهم المزية والسيادة لكنهم متفاوتون فى المعالى متميزون فى التعالى، فالمكرم الواصل والمذلل الكامل هو من أجراه الله فى طريق الطاعة، فأدام وصلته وأزال انقطاعه لأنه أوجده فى مكارم الأخلاق فجد فى أعمال البر كالصوم والصلاة لوجوده فيها محبوبه وشهوده مطلوبه، وإلى هذا المعنى الأعظم أشار النبى ﷺ بقوله عليه سلام الله: «**وجعلت قرة عينى فى الصلاة**» فقرة عينه فى كل حال وجود ذات الكبير المتعال، والمعنى أنه وجد الكمال والسيادة فى الجانب اليمين المعبر عنه بالسعادة، فتحقق بالربوبية فى عين العبودية والعبادة ومن ثَمَّ كان طريقه أعلى الطرق وفريقه أفضل الفرق لوجود آثار الكمال فى الطريق المخصوصة بالجمال، وإلى هذا المعنى أشار سيد الوجود على الإطلاق بقوله: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» لأنه جمع بذاته الكمالات الخلقية إلى ما هو له من الحيطة بالكمالات الحقية فتمت له مكارم الأخلاق لجمعه بين الوهب والكسب إلى ما هو له بالإصالة والاستحقاق.

* * *

(الفصل التاسع)

فى شوقه ﷺ وعلى أهل وده إلى إخوانه الذين من بعده.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل قوابل أعيان الموجودات كمرأى متقابلات ليظهر فى كل منها ما حواه الآخر بالذات والصفات وذلك سر ظهور الوحدة فى كثرة الممكنات ولولا ذلك لما صدقت أسماء الكلية على الجزئيات.

أحمده على سوابغ الإعطاءات وسوابل الاغطيات حمداً متصلاً بالإثبات، يكافئ نعماه الباطنات ويوافى آلاءه الظاهرات، مصليًا على نبيه صاحب المعجزات ومفتاح خزائن الآيات البينات وعلم عوالم ديوان النعوت المرضيات وطرازكم خلعة المحاسن والحسنات ﷺ، وعلى آله شموس الكمالات وأهله سماء المكارم والفتوات ونجوم مفاوز الهدايات وشرف وعظم ثم صل أبداً وسلم.

إخوانى: تنافسوا فى الله منافسة منزهة من العلة وابحثوا قلوب الرجال عن العلم بالله الكبير المتعال تجتنوا ثمرات الحكم من شجرات أفئدة أهل الكرم فإن شجرات تلك القلوب مثمرة يانعة الحبوب لا تسمح لكم أغصانها برمى الثمار إلا بعد هبوب رياح الباعث منكم والافتقار وبتحريكها بيد البحث والاستفادة مع الأطراح على أبواب تلك السادة فكم من كلمة حكمة أوصلت القطيع البعيد وأرجعت الشريد الطريد.

يا دليل الركب أوصلنى الحما ... من ذرى سلطانه الهيف الدما
لا ترى لىَّ راحة غير السرى ... فاشتياقى قطعنى سقما
ليس لىَّ صبر عن الخل الذى ... ببديع الحسن قلبى تيما
قسما أن قد سبانى فى الهوى ... ومحانى فى التصابى قسما
لم يزل يفنى فؤادى والجوى ... فيه حتى صيرنى رمما
حيرتى فى الحسن منه وإليها ... حيرة لا أعرف فيها المما
دلنى يا حادى العيس على ... ما هى الحيلة فى الأمر وما

ضاق والله سبيلى فى الهوى ليس لى الأرض نهج والسما
لست أدرى من هم أو من أنا أمرنا تفصيله منبهما
واعجباه ما فى الناس من ينشدك عنى يومًا أما
كم أرى فى غريبًا عجبًا من أمور أنا فيها ذا عمى
ما كانى مثل غيرى أبدًا أنا فرد فى المعانى علمًا
ليت شعرى فى زمانى من له فهم ما أبرزوه من كل ما
مسلك فى الحب تخصيصى به ما لغيرى فيه نهج فاعلما
غير أنى حائر فى مهجتى حرت فى الحيرة عنها كرما
آه لو أنى أرى يومًا فتى عنده من حالتى علم بما
كنت أحكى من شجونى طرفًا لم أجد من بعد بثى ألما

إنما اشتاق ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده بعد أن كان فى أصحابه من فاق أهل الغرام بوجده وسبقهم إلى كل فضل بجهده وجده. لأن للقلوب فى سلوكها إلى المحبوب طرقا عزيزة غريبة ومناهج شريفة عجيبة ولكل طريق علم عجيب ووارد غريب وعند ذلك السيد الحكيم مرهم كل جرح أليم فما قبلت قوابل الصحابة من تلك المراهم إلا ما كان لجراحاتها فى الهوى كالملائم، وبقى القلب المحمدى مشحونًا بالغرائب مملوءًا بالعجائب فاشتاق إلى من هو أهل لسماع تلك المعارف مستحق للتجلى بطريق تلك المطارف ليتنفس فى الهوى بتخفيف بعض أثقال الجوى، فإن فى بث بعض الأشجان تنفسا للمكروب الولهان، ولا شك أن أعباء الرسالة مع ما اندمج تحتها من الجمالة والجلالة والكمالة أمر تعجز عن حمله طاقة الإنسان، ولو كان عنده قوة سائر الأكوان، ولذلك أشار إليه بقوله: الرحمن «إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا» فلولا القوة الإلهية له لما وجد لحمله سبيلاً فالقاؤه إلى أهل الكمال من معانى معارف ذلك الجمال والجلال ينفس عنه من كرب الغرام طرفًا ويشفى صدره لكونهم يستشفون به من البعد والجفا فارحل أيها الفقير منك فيك إليه وانزل بسوحه بين يديه.

وخيم عنده ولديه واعتكف من الأزل إلى الأبد ليداوى جرح القلب الحسيس بما عنده من ذلك المرهم النفيس فيشتفى من الداء الدسيس إنما أخبرك عليه السلام بشوقه إليك تفضلا ومنة عليك لتجعل بينك وبينه طريقًا مسلوكة إليه فيك ومنك ولديك فتحيى بالتحية والإكرام من الجناب المحمدى عليه أفضل الصلاة والسلام.

أبدًا إليك تشوقى وتلهفى ... وعليك دون سواك فرط تأسفى
أشتاق حسنك ذا البديع ولا أرى ... لك بالعناد ولست لى بالمنصف
أفتدعى حبى وأنت مصرف ... عنى عنانك بالبعاد المتلف
وتجول فى الأفعال سائل من ترى ... عنى وفيك توطنى وتوقفى
قلبى وحقك منزل لك فى الهوى ... زبدًا وقلبك منزل فلتعرف
شوقى إليك هو اشتياقك سيدى ... نحوى فهل لك فى التلاقى مسعف

أمر ﷺ أن يتحدث بنعمة ربه لكن حديثه مع كل أحد بما تقتضيه قابلة ذلك الشخص فى فهمه وذكاء قلبه فانحسرت العقول والفهوم، وانحصر أهل التمييز والعلوم دون شأوه المنيع وشأنه الرفيع وهو دائم الاشتياق إلى من يكون مستحقا لذوق ذلك المذاق فيخبره بأخبار الربوبية ويحدثه بكمالات الألوهية امتثالاً للأمر المطلوب وتنفسًا للقلب المكروب وترقبًا بالمنافسة فى الله للعبد المحبوب.

نافس أخاك بعلم ما لم تعلم ... فى الله من أمر الكمال الأعظم
وابحثه عن أخبار ذياك الحما ... فعساك تدرك منه ما لم تفهم
للحب أسرار وأرباب الهوى ... أهل لأسرار الحبيب الأكرم
كل لديه من الغرام خصخصة ... سر سواه لسره لم يعلم
فاسأل وناشد فى الغرام أولى النهى ... تدرك من الأسرار كل مكتم

* * *

(الفصل العاشر)

فى سر قوله ﷺ : «لى وقت مع الله لا يستعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل»(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المهيمن الوسيع ذى المجد الباذخ المنيع والشأو الشامخ الرفيع أحمده على أسمائه الحسنى وصفاته العليا حمداً يؤكد شكر أيادى جماله ويقوم بواجبات مقتضى جلاله ويوفى عنى بمستحقات معانى كماله، والصلاة والسلام على أفضل الأنام وخاتم الرسل الكرام محمد بن عبد الله المبعوث إلى الخواص والعوام وعلى آله وأصحابه مؤيدى الإسلام ما هما غمام أو هدر حمام.

إخوانى: عليكم بمشاهدة الكمالات الإلهية فى حقيقة الذات المحمدية بصرف وجود الحضرة إليها والتعديل بالشهود عليها لتصطادوا بقابلة شوارد المعانى، وتغنموا بوجاهته جميع الأمانى، وتسمعوا بإذن كماله مخاطبات الأنس فى حضرات القدس فتفوزوا بعلم مكتمات الأسرار المصونات عن أسماع الأغيار، ولا تقتصروا على ذواتكم فما جوت غير صفاتكم وليس لكل من الحقيقة الكلية إلا ما وسعته روحه الجزئية بخلاف الحقيقة المحمدية، فإنها العقل الأول بل الروح الإلهية فأخذها منها كلى بكلية القابلية وأخذنا جزئى لقوابلنا الجزئية ولا لأحد فى الأنام طريق إلى وجود كمال التحقيق إلا على ما شرحناه من الكلام فى الأخذ بالقابلية المحمدية عليه الصلاة والسلام، فإن شئت أن تحظى بمطلق الكمال وتبرز بالفعل ما هو لك بالقوة من الجمال والجلال فتعلق من الحضرة المحمدية بالأذيال(٢).

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠٨٧).

(٢) فقال الشيخ الجيلى: فى أخلاقه ﷺ أنه كان جامعًا لمحاسن الأخلاق حاويًا لها على الإطلاق لأنه مفطور على أكمل الأخلاق الضرورية، ومخلوق على أكمل الأخلاق الكسبية، فالأخلاق الضرورية منها ما هو ضرورى محض ليس للعبد فيه اختيار، فقد كان كامل الأخلاق الضرورية المخلوقة عليها ذاته فى جبلته ﷺ مثل: قوة عقله، وزيادة حظه من الادراك القلبى وصحة قياسه الفكرى وصدق ظنونه وصحة فهمه وفصاحة لسانه وحلاوة منطقه، وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته الضرورية والأخلاق الضرورية =

توسل بالحبيب إلى الحبيب لتحظى بالتوصل من قريب
وعرس حادى العيس المطايا بسوح النازلين على الكثيب
وبرد بالعذيب عليل حر لأكباد تذوب من الوجيب
آخال الأشجان هلا قمت ليلاً لليلى فى حمى سوح رحيب
تناديها بألسنة التدانى وتسمعها بآذان المجيب
وتبسط فى بساط الأنس شرحًا بحال فى مودتها غريب
وتحظى بالوصال على أمان من العذال والواشى الرقيب

إنما عرفك صاحب جوامع الكلم بأن له القدم الأقدم فى القدم حيث قال: **«لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل»** وفى رواية **«لى وقت مع الله لا يسعنى فيه غير ربى»** إلا لتعلم أنه ذو الشوق الأعلى ومن دونه فى المقام إلا نزل فتأخذ أنت بقابليته من ربه كل وصف أفضل وترقى به فى الكمال إلى المقام الأكمل، واعجباه كيف وسعت القلوب الحق تعالى ولم تسع الموالى: أما تراه سبحانه يقول فيما ترجم به عن الرسول ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن، وقلب المؤمن مع وسعه لربه لا يسع محمداً مع الله فى وقته المهيمن، إنما ذلك لكون وسع القلوب للحق المتعال على قدر قوابلها من النقص والكمال وقوابلها جزئية المحتد فى الأزال وروح النبى ﷺ كلية فقابليتها كلى الأخذ بلا محال فلأجل ذلك رجعت عنه القلوب القهقرى وقد وسعت الحق بلا مرآء وهذا أمر لا يطلع عليه إلا الكمل من الفقراء.

* * *

= المتعلقة بالكسب مثل: غذائه ونومه ويقظته وملبسه ومكسبه ومنكح، وحاله ومعاملته للناس، وامتثال ذلك، فقد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة بكماله فى جميع ذلك، حتى تواترت الأخبار بأنه كان على أكمل حالة، وأحسن حلية فهو الغاية القصوى فى كمال هذه الأوصاف الضرورية، وأما المكتسبة، فإنها إنما كانت فيه جبلة فطر عليها، وما جعلناها مكتسبة إلا باعتبارها من حينها، فإنها قد يكتسبها المرء، وأما هو ﷺ فإن جميع أوصافه كلها فهى أوصاف جبلية فطر عليها، لم يتصف يوما من الدهر بنقيض كمالها، ولم يتخلق بضد حسنها وجمالها، بل كان حاوياً بالطبع بجميع الأوصاف المحمودة عقلا وشرعا كالعلم والحلم والصبر والسكون والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة، والحياء والمرؤة والصمت والصدق والوفاء بالوعد.

[٦٨/أ].

(الفصل الحادى عشر)

فى سر قوله عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام
«لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء ومفيض النور والسنا ذى العزّ الشامخ والمجد الباذخ والفضل القديم والجود العميم والفخر الكامل والكمال الشامل الذى حمد نفسه بكل المحامد وأجرى لربوبيته العبودية من كل شىء فكل موجود له خاشع وعائد .

أحمده بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأشكره شكره لمجده الأسنى وأثنى عليه بما على نفسه أثنى مصليا على النور الأعظم والطراز الموشم صاحب قاب قوسين أو أدنى صلى الله عليه وعلى آله ما زمزم الحادى أو غنا .

إخوانى إنَّ كمال مرتبة الإنسان بتحقيق ثنائه على ذات الملك الديان وثناؤه له منوط على قدر معرفته بكمال الرحمن ومعرفته بكمال ربه منوط بقابليته التى هى أثر محتده من ذات الملك المنان وعلى نسق ما أعطته المواهب القدسية من الاستعداد لذلك الشأن(٢).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٤٨٦)، عن عائشة رضى الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول : **«اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».**

(٢) قال الشيخ العلامة المصنف الجيلى : اعلم أن الحقيقة الإنسانية هى الذات الإلهية، ولها من صفات الكمال ما تعرف الله به إلى عباده وما استأثره عنده مما لم يتعرف به إلى خلقه فجميع ذلك لهذه الحقيقة الإنسانية فاطلبها منك فيك بالاسم الله حتى تجد المسمى فتسقط الاسم فتعرف ذاتك ثم تجد ما عرفت ثم تتصرف بما وجدت، وإذا صحت معرفة ذاتك ثم وجدت ما عرفت ثم تصرفت بما وجدت فيما أردت فاعلم أنك أنت الإنسان الكامل وقطب الأواخر والأوائل، وإذا لم يصح لك ذلك، فاعلم أنك إنسان مطلق منحط على رتبة الكمال بقدر ما فاتك من ذلك إشارة كل فرد من أفراد النوع الإنسانى عنده قابلية الكمال الإلهى، لكن ما كل أحد مستعد لذلك، فالقابلية أصلية كل شخص لأنه مخلوق من الذات الإلهية، ومن كان كذلك فهو ذو قابلية للكمالات الإلهية . . (١/٣٧).

أدم الثناء على الكمال المطلق بالاتصاف بوصفه المتحقق
وانظر إلى الحسن البديع فإنه لمن الثناء على المليح الأنيق
والحظ جلال العز فى عظمته فهو الثناء على العظيم المطلق
كن كيف شئت تكن لربك حامداً بالذات والأوصاف والفعل التقى
فجميع ما فى الكون طراً حامداً لله عبد من سعيد أو شقى

أخا لك تظن بأنه ما أفى الواجب من المحامد إلا المطيع والعابد، بلى أنه لقد أطاعه العاصى بعصيانه، وذكره الناس بنسيانه وشكره الجاحد له بكفره وجحدانه فكل شيء خاضع لعزه ومجده وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

كل لم مع ربه أسرار وله عليهم نعمة مدرار
لا تحسبن المسلمين تخصصوا بالفضل نالت فضله الكفار
هو واحد الحسن البديع وكلهم لجماله فى حسنه سفار
كل له فى حسنه وكماله نكت تحار لشأوها الأفكار
هذا الوجود جميعه بكماله حسن ومن فيه به مختار
كل غريق ملاحة لشمائل ومحاسن تصبو لها الأبصار
أثنوا عليه جميعهم بذواتهم وفعالهم كل له شكار

الثناء من العبد لمن هو أهل المجد والحمد على أقسام بعدت عن دركها أفهام الأنام قسم هو الثناء الأزلى والحمد الأبدى، حيث يثنى كل موجود على ربه بعين الوجود فهو حامد له بالذات والأفعال والصفات وقسم هو الثناء الواجب على اختلاف الأديان والمذاهب، وهذا الثناء فى البيان يختص بما نطق به اللسان وذلك حمد مخصوص بشرع منصوص فالأول على العموم والثانى على الخصوص، وقسم هو الثناء بالجنان بالاعتقاد فى كمال المنان وحسن الظن به باليقين والإيمان.

يا هذا: لا تزعم أن حسن الظن فيه مقيد بفيضه وإحسانه الذى ترجوه من أياديه هذا حسن ظن متعلق بالأفعال من غير محال، فأين أنت من حسن الظن بالصفات، بل أين أنت من حسن ظنك بالذات؟ إن شئت أن تعرف ذلك فارجع إلىَّ ببالك، واعلم أن

حسن ظنك بصفاته البديعة ونعوته العظيمة المنيعة، هو أن تلحظ كل معقول أو مسموع أو مشهود متخلقًا متصورًا بملاحة ذلك الوصف البديع الموجود فهو عين الوجود وحقيقة ذات كل موجود.

انظر إلى الحسن البديع الزاهر فى كل شىء ظاهرًا للناظر
وتلمح المعنى بعينك وابتهج لمحاسن الوجه المليح الباهر
وانظر حقيقة كل شىء عينه فالعين واحدة لراء حائر
حاشاك أن يك فى الحقيقة غيره والإله مزاحم بتغاير
اتخال انك غيره أو فى الوجود له سوى من باطن أو ظاهر
فلقد أسأت تأدبًا إن كان ذا بالله ظنك فى الزمان الغابر
فارجع إلى الظن الجميل تأدبا وانظره فى مهما ترى الباصر
واسمعه فى المسموع بل واعقله فى المعقول واعرفه بغير تكابر
فجميع ما تلقاه عين واحد والله فيها ظاهر بمظاهر

يا هذا: إنما الثناء على الله بما هو له أهل، لا بما صوبه لك الفكر والدليل بالعقل أين انت يا هذا هيهات من محل قوم أثنوا على ذاته سبحانه وتعالى بالذات بان تحققوا له فيهم بما هو حقه من معانى الكمالات، فلما توسطوا فى بحره العجاج وتلاطمت من كل جهة بالكمال تلك الأمواج وأحبوا نهاية ما ينتهى من معانى ذلك الوجه البهىّ أخذوه تفصيلاً فى الإجمال منغير تقييد تفصيل فى الحال، فقالوا: لا نحصى ثناءً عليك لكثرة ما نشهد من المعانى الكمالية لديك إذ ضبط ما لا ينتهى محال فلست ذا نهاية بحال انت كما أثنيت على نفسك تفصيلاً وإجمالا فلك الكمال إجلالاً وإكمالاً واجمالاً.

يفنى الزمان ومدح وصفك باقى
يا حائزًا لمحاسن الاخلاق
أعجزت السنة الورى فى نعتهم
بمحاسن تعلو عن الإنطاق
عجز النهى عن درك وصفك قدرة
العجز فيك نتيجة الحذاق

الفصل الثانى عشر

فى سر قوله ﷺ عند انتقاله من دار الدنيا إلى دار الأخرى «بل الرفيق الأعلى» وتكراره لها وكون ذلك آخر كلامه.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) خالق المعارج ونور المراقى والمدارج الهادى لخلقه بمخلوقاته إليه، والدال لأوليائه بأسمائه وصفاته عليه الذى تودد إلى خواصه فأحبوه ونعرف إليهم فطلبوه أشهدهم جماله وجلاله فى كل شىء من غير حلول فشهدوه وأوجدهم داته فى غير محل مخصوص فوجدوه كملهم بكمالة وجملهم بجماله وأظهر على أيديهم آثار لطفه وأنوار جلاله أحمده على ما يعلمه لنفسه الكريمة من نفسه وأشكره على ما خصنى به من معرفة حظائر قدسه وأثنى عليه بما أسبغ من نعمه على بالقرب الحقيقى المحفوف بأنسه وأصلى على الوسيلة العظمى ذى المحل الأعز الأسنى والنور الأظهر الأسنى والمقام الأكمل الأهنى صاحب قاب قوسين أو أدنى محمد بن عبد الله المبعوث إلى كافة خلق الله بالهداية المطلقة إلى الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعترته وأنسابه والقائمين على محل الثناء به عنه من أمته من أحبابه.

أما بعد فإن الإنسان له من وجوه المعانى وجهان فوجه يكون به مع الأكوان ووجه يكون به عند الملك الديان وهو فى حال ظهوره بكل وجه يا إخوان كامل بما يقتضيه ذلك الوجه من الذات والوصف والاسم والفعل والأثر والشأن فكأنه فى الحقيقة ذاتان فالوجه الأبعد له وجه العجز والحصر والافتقار والنقصان والوجه الأقرب منه له وجه العز والكبرياء والكمال والغنى والجود والإحسان فهو بالوجه الأبعد مسمى الكون بين الكيان وبالوجه الأقرب مسمى الله الرحمن

وفى هذا المعنى قلنا

جـــود لهـــا وجــهــان هذ كـــامل	عـــــال وهذ ناقص هو ســـــافل
هذاك نور ظاهر ومـــــعـــــارف	علمـــــا وهذ ظلمـــــه وجـــــاهل

هذاك عزٌ شامخ مقداره حقًا ،ذا ذل حقير نازل
رب بذلك في المعاني واحد عنه بذاتين التعدد حائل

فالزم فدتك النفس في ذاتك العلى
لا تعد عنه تغتويك معاقل

يا هذا: إن الله مع كل أحد والولى من كان هو مع الله الواحد الأحد معية الرب للعبد عموم ومعية العبد لربه خصوص ما كل مع الله والله مع الكل كما هو فى الكتاب منصوص فمن كان من أولى الألمعية فليشهد هذه المعية فإنه يتوسل بها إلى معارج الشهود ويتوصل بدوام استعمالها إلى مدارج الوجود.

توسل للتوصل بالمعانى بما تستطيع من شيم الرجال
وجرد سيف عزمك باهتمام ولا تخشى الأسنة فى القتال
والمم بالمهالك غير خاشٍ وغصن بحر التفانى للآلى
ولا تخف الممات على أياس ولا تخشى الهلاك على العوالى
ولا تنظر سلبت إلى جبال ولا دون من الأقوال دالى
وطالب نفسك الغرا دوامًا بما نالته أرباب الكمال
ولا تقنبع بمرتبة وشأو ولا تركن إلى عظم المنال
فذاتك فوق ما أسمى وأعلا ووصفك فوق أوصاف التعالى

يا هذا: من لم يلق نفسه فى المهالك فليس هو بالرجل السالك لله قوم هجموا على الآساد فى الآجام ومالوا عليهم بالضرب والإخراج من الآكام حملهم على ذلك قوة اليقين وتحقيق الثقة برب العالمين، لا جرم إن جعلت عليهم يد العناية خلع الرضا موسومة بأنواع الهداية مطرزة بالمعارف والدراية على قدر مخالفة النفوس يؤيد بالفتح من ذلك المقام المأنوس.

خالف هواك إذا أردت وصالنا واترك مرادك إن طلبت جمالنا

نحن الذين نريد تارك نفسه — لا من يراعي نفسه وأتى لنا
لا تهو مصلحة لنفسك إن ترد — إنا نعيرك في البرية آلنا
وآدم قيامك في مخالفة الهوى — وأسرع إلى مرضاتنا لتنالنا
وانزل بنا لا بالدعاوى عندنا — واترك وجوداً منك في المعنى لنا
والحظ فناك مشاهداً لبقائنا — واعدم خضوعاً إن شهدت جلالنا
من يدعى معنا وجوداً في الهوى — فجزاؤه ان لا ينال وصالنا

يا هذا: دعواك الوجود بين يدى من هو عين كل موجود ذنب جزاؤه الجفا ومعصية عقوبتها عدم حصول الصفا فاترك بين يدى من تهوى تلك المهاوى وتجرد عن محاسنك والمساوئ واصرف أمر وجودك إليه كى لا تكون من أهل الدعاوى.

ما في الوجود سواه من موجود — هو عين هذا العالم المشهود
هو عين مسموع سمعت وما ترى — هو ما عقلت من المعنى المقيد
هو عالم الملكوت والملك الذى — تلقاه محصوراً على التجريد
هو عالم الجبروت واللاهوت — والناسوت والمعدوم والموجود
فاشهده واجحد ما سواه لأنه — ماثَم غير جماله المسعود

يا أهل الحجاب: إن أردتم كشف النقاب فعليكم بجحدان ما سواه من وكل باب وتصوروا بهذا المعنى واشهدوه ولاحظوا بالتعمل عدمية العالم واجحدوه فعن قريب تشرق أرضاكم بنورها فتجدوه.

ويا أهل الكشف والشهود وأرباب الاطلاع والوجود. عليكم بدوام الاسترسال بالتفنن بفنون ذلك الجمال فعن قريب تتحققون بحقائق الكمال، وإنما التحقيق فى التحقيق لأهل الاسترسال والفهم والتمييز فى التدقيق الذين لما كانت الصفات معارجهم أصبحت تجليات الذات مدارجهم أول ما عرفوا الذات بالصفات، ثم علموا الصفات علماً ثابتاً بالذات لما سروا فى أفلاك المعانى الصفاتية تلذذوا بالانهماك فى تلك المجالى الكمالية فساروا فى الذات بتحقيق معانى الصفات بلابل وقفوا فى الصفات بتحقيق

معانى أحكام الذات لابل والله تخلصوا من هذه النسب واستراحوا من هموم التعب وزال عنهم حكم وجود الألم بعد التمكين والنصب بتحقيق أمر العظمة فى التجلى المعروف بالحطمة فعندها تمكنوا وبكل لون تلونوا ولم يزالوا بعدها فى التغالى ذاهبين إلى تحقيق أمر المعالى لا يقنعون بمجلى أجلى ولا يقفون فى المنزل الأجلى ولا يستريحون فى المستوى الزلفى، بل تابعين لآثار النبى ﷺ المصطفى فى ذاته وصفاته وجميع أسمائه الحسنى لأنه دليلهم هنالك والمثنى عليهم بذلك فى قوله لما قضى من العالم الدنياوى نحبًا ووالى ثلاث مرات فى الرفيق الأعلى إشارة إلى تحقيق أمر الذات صرفًا محضًا بالأولى وإلى حقيقة التمكين بالأخرى فى كل وصف أجلى وإلى طلب ما لا نهاية له بالثالثة لئلا يتسلى، إنما كان هذا آخر كلام الرسول فى النفس الآخر عند القدوم من الدنيا إلى الآخر، إلا لتحقق أمرك فى الحقيقة مع الله على هذه الطريقة لكى لا ترجع عن الرفيق الأعلى الرحمانى إلى الرفيق الأنزل النفسانى والروحانى.

لا تصرفوا نظرى عن المحبوب	ما إن سواه فى الهوى مطلوبى
أنا من يغر عليه أن ير غيره	فى موضع يأوى له محبوبى
قلبى محل الحل بل كلى له	مأوى وما قلبى أخو تقليب
لى فى الغرام تمكن وتملك	من حسن ذاك الأبلج المحبوب
أصبو إليه وهو عندى إن ذا	عجب وما شأنى إذن بعجيب

ولكن هذه المقالة آخر هذه الرسالة والله الموفق للصواب وإليه الرجع والمآب والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

إشراف

محمد بن على بن يوسف

تم بحمد الله كتاب

(لسان القدر بنسيم السحر)

مكتبة القاهرة

علي يوسف سليمان

الرئيسي ١٢ ش الصنادقية الأزهر

الفرع ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت ٥٩٠٥٩٠٩ ت فاكس ٥١٤٧٥٨٠

ص ب ٩٤٦ العتبة القاهرة

جمهورية مصر العربية

فهرس الموضوعات